مـــدى الـكـرمـل
المركز العربي للدراسات الإجتماعية التطبيقية

مـدى الكرمل

برنامج دراسات إسرائيل

أوراق بحثية

3

اليهود العرب والصهيونية قبل النكبة من اللامبالاة إلى الاستحواذ

«نظرة مكثفة على تاريخ اليهود الشرقيين في المنطقة العربية، ورد فعلهم تجاه الحركة الصهيونية»

أحمد مصطفى جابر

أيلول 2014

اليهود العرب والصهيونية قبل النكبة من اللامبالاة إلى الاستحواذ

«نظرة مكثفة على تاريخ اليهود الشرقيين في المنطقة العربية، ورد فعلهم تجاه الحركة الصهيونية»

أحمد مصطفى جابر [1]

مقدمة

احتلت مسألة اليهود العرب حيزًا واسعًا في النقاش المتعلق بتأسيس إسرائيل، واستدراج المهاجرين إليها، أو في إعادة قراءة تاريخ الحركة الصهيونية أو الحركة الوطنية العربية على حد سواء؛ وارتبطت، كذلك، بتشكل دولة إسرائيل ونشأتها من جهة، ومساعي دحض ادعاءاتها بقومية يهودية ووحدة عرق يهودي من جهة أخرى، ومدى مساهمة اليهود الشرقيين والعرب منهم خصوصا في هذه العملية، وإلى أية درجة كانوا محل اعتبار الحركة الصهيونية وقياداتها الأوروبية، ومدى كونهم ملحوظين في مشروع الحركة ورؤية مؤسسيها.

ورغم كثرة المصادر التي تناولت أحوال اليهود العرب عشية النكبة وقيام إسرائيل، إلا أن الملاحظ على هذه المصادر، الغالب منها على الأقل، أنها تعاني من جملة من المشكلات مجتمعة أو مفردة، أبرزها أحادية الاتجاه، سواء في ذهابها إلى تبني وجهة النظر العربية القومية، المعادية للصهيونية في صياغتها الرسمية من حيث المبدأ، وتلك التي مالت للدمج بين اليهود والصهيونية على نحو تعميمي، ساعد في ذلك تأكيد الصهيونية على تمثيلها لمجموع اليهود من جهة، وضعف الرفض اليهودي للصهيونية من جهة أخرى، أو الأخذ بوجهة نظر محسوبة على الاتجاه الصهيوني، ومستندة إلى الرواية الرسمية المتداولة في إسرائيل على وجه الخصوص؛ أو الاقتصار على مذكرات وشهادات كتبها يهود عرب تركوا بلدانهم إلى فلسطين قبل النكبة أو إلى دولة إسرائيل بعدها، والتعامل معها كمسلمات دون تمحيص أو تفنيد رغم أنها تأتي متناقضة أحيانا كثيرة، سواء لجهة المعلومات أو تحليل المواقف.[2]

كما إن الكثير من هذه الأبحاث تعامل مع الوجود اليهودي في البلدان العربية بشكل فصَلهم عن محيطهم

1. أحمد مصطفى جابر: فلسطيني مقيم في مصر. باحث وكاتب مقالات في الشؤون الإسرائيلية والفلسطينية، محرر الشؤون الإسرائيلية في مجلة الهدف.
2. على سبيل المثال لا الحصر، نجد هذا التناقض في كتابات يهود عراقيين من أجيال مختلفة أو اتجاهات سياسية مختلفة. وقد كشف عن ذلك بوضوح في دراسة آلين شليبفر حول «هويات اليهود العراقيين وفقا لمذكرات يهود بغداديين»، وقدمتها للمؤتمر العلمي الثاني (للرابطة الدولية للدراسات العراقية المعاصرة)، الذي أقيم في عمان 2007، ونشرت بترجمة د. محمد محمود عبد الواحد محمود على: إيلاف 13 تشرين الأول 2008.

وبيئة وجودهم الطبيعية، فعزلت حراكهم وتوجهاتهم ومصائرهم عن الخلفية المادية والواقعية لوجودهم، سواء باعتبارهم عنصرًا غريبًا أجنبيًا في البيئات العربية، أو تبني اتجاه السيسيولوجيا الدينية، والتعامل معهم كوجود ديني بحت بمعزل عن الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية والثقافية لهذا الوجود.

ازدحمت المصادر الكثيرة جدا بتفاصيل مهمة وشاملة حول أحوال اليهود العرب، والتغييرات الديمغرافية الحاصلة على مجتمعاتهم المختلفة، وحول النشاط الصهيوني في البلدان العربية. إلا أن معظم هذه المصادر ركز بكثافة على أنشطة الحركة الصهيونية وروابطها الفرعية في البلدان العربية، دون التركيز على ردود أفعال اليهود العرب أنفسهم على الصهيونية، سواء تجاه الالتحاق بها، أو مقاومتها إيجابيا أو سلبيا، أو حتى عدم الاكتراث بها، بل بالتركيز على المقاومة القومية العربية للصهيونية، مع لحظ المشاركة اليهودية كعامل إضافي غير جوهري. واستندت معظم الدراسات إلى حجم الهجرة لقياس التأييد اليهودي العربي للصهيونية، وهو معيار، على أهميته، لا يصلح للأخذ به كمعيار عام، ولا يصمد أمام التحليل، بسبب تركيزه الأحادي المرتبط بالهجرة إلى فلسطين حصريًا.

وإنه ورغم وجود الكثير من الحقائق والقصص الموثقة عن الدور الذي لعبته الحركة الصهيونية، خدائعها، وتحريضها، وتزييفها للحقائق، وحملتها الدعائية الضخمة، وإثارتها للفتنة، لدفع اليهود العرب إلى الهجرة إلى فلسطين، إلا أن البحث الموضوعي، في المقابل، يثبت وجود الكثير من الحقائق والقصص عن الدور السلبي للحكومات العربية والرأي العام العربي في الوصول إلى هذه النتيجة.

فاليهود العرب لم يكونوا على صعيد واحد، فهم يتبعون مجتمعات متمايزة، خضعت لظروف خاصة، في بلدان مختلفة خاضعة للاستعمار، وواجهوا أيضا سياسات استعمارية مختلفة، أثرت، وحسمت، في أحيان كثيرة، مصائرهم، من جهة، ولم يكونوا سواء، لجهة فهم الدين والارتباط بفلسطين، أو بشأن الصهيونية ودعواها من جهة أخرى. يرتبط هذا بوضعهم الطبيعي الخاضع لنفس قانون المجتمع والاقتصاد في بلدانهم من جهة، ومكانة فلسطين بالنسبة لهم من جهة ثانية، وموقف السلطات الاستعمارية المختلفة من موضوعات الصهيونية والهجرة ومكانة اليهود أيضًا. وقد كانوا يبحثون عن حل لأزمتهم في أزمنة عاصفة، أطاحت بالمجتمعات العربية جميعها، وأعادت تشكيلها، وهم جزء منها، وكانوا مثل غيرهم من مواطنيهم ضحايا أو منتصرين في هذا الامتحان. ولعلّ ما كتبه توم سيغف عن حالة فلسطين تحت الانتداب ينطبق أيضا على حالة المجتمعات العربية في ذلك الزمن «ولا شك أن مجيء الصهيونية تسبب بتغييرات دراماتيكية في حياة العرب عمومًا واليهود منهم، داخل أوطانهم» (قومش، 2008)، حيث تناسب التنافر بين الفريقين طردا مع قوة الصهيونية وحلفائها المستعمرين، وضعف العرب وتفاقم أوضاعهم.

هدف البحث

لا يدّعي هذا البحث أنّه يمثل وجهة نظر عربية في هذا الموضوع، فالباحث لا يمثل إلا نفسه؛ ولكن يحاول إلقاء ضوء جديد من زاوية بحث جديدة لمسألة يرى الكاتب أنها شُوّهت أيدلوجيا وسياسيا من ناحية القراءة العلمية التاريخية السليمة. وبالتالي، يقع في صلب اهتمام هذا البحث تقديم سردية تاريخية تلقي الضوء على التفاصيل أعلاه، وبالتحديد رد فعل اليهود العرب على الصهيونية، كيف استقبلوا أخبارها، وكيف تعاملوا معها، ومدى تقبلهم لها أو رفضها، بمعزل عن النتائج النهائية لمواقفهم على الحركة الصهيونية، وكيف قادتهم الأمور إلى الهجرة إلى فلسطين، قبل أن يصبحوا صهاينة. وهو موضوع آخر مرتبط ببحث آخر، يكون جوهره السؤال: هل أصبح اليهود العرب صهاينة فعلًا؟

مصطلحات البحث وضوابطه

يستخدم هذا البحث المصطلحات التالية:

1. اليهود العرب، أو المجتمعات اليهودية العربية. ولا يستخدم مصطلح (الطوائف/الطائفة اليهودية) إلا عند الإشارة إلى تسمية رسمية. ولا يستخدم مصطلح (اليهود في البلدان العربية) إلا عند الحديث عن يهود من غير العرب. وسيتم لحظ ذلك في السياق.
2. سيستخدم البحث مصطلح (الهجرة إلى فلسطين)، ولن يتعامل مع (الهجرة إلى إسرائيل). وسيستخدم مصطلح (فلسطين –إسرائيل-) عند الحديث عن ما بعد النكبة.
3. يسعى البحث إلى قراءة موضوعية تهدف لإظهار الحقائق كما وردت في المصادر الأكثر موثوقية –على مدى علم الكاتب- والمراجع التي يمكن الركون إلى مصداقيتها العلمية.
4. رغم المسعى العام إلى الحيادية، إلا أن الكاتب لا يدعي الحياد، بل ينطلق من موقف فلسطيني وطني معاد للصهيونية وادعاءاتها بأي حق لليهود في فلسطين. ثم إن أي تعاطف أو عداء ذاتي يظهر في النص يجب ألا يعتد به، كونه مرتبطًا بسياق الكتابة المحدد.

تمهيد

توزع الوجود اليهودي في المشرق إلى سبعة مراكز أساسية: العراق، واليمن، وكردستان، وإيران وبخارى. وأرجع الباحثون هذا التصنيف إلى عوامل تمايز اجتماعي وديني، سادت بين هذه المجتمعات، في مجالات اللغة والأنشطة الاقتصادية، والبنى الاجتماعية، وشكل الملابس، وطرق المعيشة، والتقاليد اليهودية الدينية، وطريقة أداء الصلوات، والشريعة اليهودية.

أما في المغرب العربي وشمال إفريقيا، فقد انقسمت المجتمعات اليهودية بدورها إلى مراكز عدة في مصر، وتونس، والجزائر، وليبيا، والمغرب. كذلك كان هناك تواجد لمجتمعات يهودية غير عربية في المشرق مثل كردستان، وإيران، وبخارى، وأفغانستان. لكننا لن نتطرق لها في هذا البحث، كونه يقتصر على البلدان العربية فقط.

ومن المهم الإشارة إلى أن اليهود لم يشكلوا وحدات ثقافية أو حرفية، أو جغرافية منفصلة عن مجتمعاتهم العربية الأم، كما إن العلاقة بينهم وبين غيرهم من المواطنين في المجتمعات العربية شهدت لحظات هبوط وصعود (شبلاق، 1990)، غير أن أوضاعهم، قياسا بأوضاع أقرانهم في المجتمعات غير الإسلامية والعربية خصوصًا، اتسمت بالتسامح عامة (أتينجر، 1995؛ شاحاك، 1996). ويلاحظ أن نفوذ اليهود وانتعاشهم في المجتمعات الإسلامية سارا على نحو مطرد مع قوة الحكم وضعفه، وكان تراجع اليهود عامة انعكاسًا لحالة الضعف والتراجع التي أصابت المجتمعات الإسلامية ذاتها.

1. العراق

كان المجتمع اليهودي العربي في العراق أحد أكبر المجتمعات اليهودية العربية، وأعرقها؛ وقُدر عديده، قبل عمليات التهجير، بحوالي 135–150 ألف نفس، توزع معظمهم في المدن الكبرى (شمالي ودجاني، 1990). وتشير الإحصائيات إلى أن يهود بغداد شكلوا، يومًا ما، ثلث سكان المدينة، وكان بعض يهود بغداد من أغنى أغنياء اليهود في العالم، صيارفة، وتجارًا دوليين (لطيف، 2012). ولم يتجاوز عدد اليهود العراقيين الذين تركوا البلد نهائيًا إلى فلسطين، بين عامي 1924–1944، الخمسة آلاف، من أصل حوالي 150 ألف، أما في العام 1948، فلم يتجاوز عدد المغادرين خمسة عشر شخصا (أعيان). أما عدد اليهود العراقيين الذين غادروا العراق نهائيًا إلى فلسطين خلال 1949، فبلغ 1708 أشخاص.

وعمومًا، وبعد إصدار قانون الجنسية في العراق، فإن عدد اليهود الذين تقدموا للتسجيل للمغادرة والاستفادة من القانون عبر إسقاط جنسياتهم، منذ طرحه في العام 1948 وحتى 1950، بلغ ستين ألفًا، كان 32453 قد غادروا العراق خلال العام 1950. وبحلول شهر كانون الثاني التالي 1951، وقبل شهرين من انتهاء صلاحية القانون المذكور، كان عدد المتقدمين قد بلغ 85 ألفًا (أعيان). ومع نهاية العام 1951، بلغ عدد اليهود العراقيين الذين غادروا العراق نهائيًا إلى فلسطين المحتلة 89.088 نفسًا، وعام 1952، بلغ العدد 962 نفسًا، و413 عام 1953، ليصبح عدد اليهود العراقيين الذين غادروا العراق نهائيًا إلى فلسطين منذ 1948 ولغاية 1953 حوالي 90.463 نفسًا. ولمزيد من التعمق في ديموغرافية الهجرة، نورد الجدول التالي (كورية، 1998، ص. 161)، الذي يبين تعداد المهاجرين اليهود العراقيين الذين تركوا العراق ما بين 1919– 1945، دون أن تكون وجهتهم فلسطين بالضرورة:

جدول 1: اليهود العراقيين الذين تركوا العراق ما بين 1919- 1945 (بالآلاف)

السنة	العدد	السنة	العدد	السنة	العدد
1920/1919	--0--	1927	311	1940	2
1921	49	1933	1	1941	1
1922	105	1934	12	1942	351
1923	17	1935	96	1943	169
1924	776	1936	2	1944	100
1925	753	1937	1	1945	2
1926	777	1938	1		

المصدر: كورية، 1998، ص. 161

وفي ما يخص وضعهم القانوني، فقد تمتع العراق، أثناء فترة التنظيمات، بالإصلاحات التي نفذتها الدولة العثمانية، وساهمت معطيات الواقع العراقي في إتاحة الفرصة لجميع الطوائف في المشاركة في الحركة القومية والوطنية. ولم يكن تراجع الوضع الاقتصادي ليهود العراق بعد الاستقلال حائلًا دون انخراطهم في الحركة الوطنية. ودستوريًا، نص دستور العراق 1925 على مبدأ الحقوق الكاملة في المواطنة، كما نصت المادة السادسة على أن للطوائف المختلفة الحق في تأسيس مدارس لتعليم أفرادها بلغتها الخاصة، على أن تتوافق مع المناهج العامة. وكان لليهود، عام 1924، أربعة نواب في البرلمان، اثنان منهم عن بغداد، وواحد عن كل من البصرة والموصل، وأصبح لهم، عام 1946، ستة نواب أسوة بالطائفة المسيحية، وقد ألغي تمثيلهم عام 1952 بعد الهجرة الجماعية (معروف، 1974).

يهود العراق والصهيونية

سمع اليهود البغداديون، لأول مرة، شيئًا عن الصهيونية من خلال الصحافة العبرية نهاية القرن التاسع عشر، وبادر أفراد قلائل في البصرة وبغداد إلى تبادل الرسائل مع المنظمة الصهيونية العالمية التي كانت قد اتخذت من برلين مقرًا لها. أما أول جمعية صهيونية في العراق فقد تأسست في البصرة عام 1913 على يد محام يهودي يدعى (أي. ايسايك)، ومصور يدعى (جي جي أرون)، وتألفت من عشرة أعضاء، وشرعت بإقامة مدرسة عبرية حديثة في البصرة. بعدها، تأسس تنظيم صهيوني في بغداد عام 1914. وفي 1917، صدر وعد بلفور؛ لكن ردود الفعل بين يهود بغداد اتسمت بعدم المبالاة.

اعتبر الباحث أري أليكسندر أنه حتى في أربعينيات القرن العشرين كانت الصهيونية في موقع هامشي للغاية في التاريخ اليهودي العراقي. فهي لم تكن مهمة، ولم تترك فيهم تأثيرا كبيرًا. ويلقي الضوء على أحداث الفرهود عام 1941، التي اعتبرها مؤرخون صهاينة نقطة حسم في تحويل موقف اليهود العراقيين، لما حدث فيها من دمار مادي ومعنوي طال اليهود. ويرى بأنه لا يمكن فهم الفرهود التي بدأت بمشاجرة

فردية سوى إنها نتيجة لعدد من العوامل الخاصة بالسياق المحلي، منها المواجهة العسكرية بين العراقيين والبريطانيين، والدعاية الألمانية، والقوميين العراقيين المتشددين، وقيام البريطانيين بإعادة احتلال البلد، والاعتقاد بوجود صلة قوية بين اليهود والبريطانيين، والابتهاج الذي أظهره اليهود أمام هزيمة القوات العراقية المؤيدة لألمانيا. واليهود العراقيون، برأيه، كانوا بحاجة للإنقاذ من الصهيونية نفسها، التي وإن حاولت حل مشكلة اليهود الأوروبيين إلا أنها أوجدت مشكلة في العالم العربي.

ولعل واقعة الفرهود تستحق بعض التأني لأهميتها التاريخية. وفي التفاصيل، أن بغداد عاشت في الأول والثاني من حزيران عام 1941 أحداثًا وصفت بالخطيرة وغير المسبوقة، حيث أدت الصدامات إلى حصد العشرات من الأرواح بين يهود ومسلمين، والإضرار بشكل بالغ بالممتلكات العامة والخاصة. وقد استغلت الحركة الصهيونية الحدث لتخويف اليهود، وبث الرعب في قلوبهم، ودفعهم إلى أحضانها، ومن ثم إلى الهجرة إلى فلسطين. ولم ينجح أي من الباحثين –في حدود ما اطلع عليه الكاتب– في كتابة تاريخ دقيق وموثوق لأحداث الفرهود، وبقي العدد الدقيق للضحايا مجهولًا، حيث أعطت كل جهة رقمًا حسب اجتهادها وأهوائها. وننقل هنا الرواية التي رأينا أنها أكثر توثيقا، عن المؤرخ العراقي عبد الرزاق الحسني في كتابه «الأسرار الخفية في حوادث سنة 1941 التحررية» (لدى كورية، 1998، ص. 43): «صادف يوم الأحد أول حزيران 1941 عيد زيارة النبي يوشع عند اليهود فخرج لفيف منهم للتنزه عند المطار المدني، والتفرج على مهرجان استقبال الأمير عبد الاله الوصي على العرش بعد فشل انقلاب رشيد عالي الكيلاني، وكانت جماعات من المسلمين والمسيحيين قد خرجت إلى عين المكان للغرض نفسه، فحدثت مشادة كلامية بين أحد اليهود وأحد المسلمين، تطورت إلى عراك عام اشترك فيه لفيف من الطرفين، وأسفر عن جرح 17 يهوديا ووفاة اثنين من الجرحى، واعتبر الحادث عاديًا، انتهى باعتقال المعتدين، وفي المساء أصدر الأمن الداخلي بيانا سمح فيه بالتجول بشكل عادي فاعتبر عموم الجمهور أن الأمور في العاصمة عادية، فلما كان اليهود يعبرون عن ابتهاجهم باندحار الكيلاني وقواته الحليفة لألمانيا، وجدوا أمامهم بعض قطعات الجيش المندحر فأظهر بعض اليهود شماتتهم، في وقت كان البريطانيون يبحثون عن وسيلة لإثارة القلاقل في بغداد، وكان أنصار الكيلاني يريدون وسيلة لإقلاق الرأي العام فحصلت مشادة كلامية تطورت إلى اقتتال توقف مع قدوم الشرطة، وصباح اليوم التالي الثاني من حزيران، خرج الناس إلى الشوارع وهم لا يعلمون شيئا عن أحداث الليلة الفائتة وتكررت مشاكسات الشبان اليهود للجنود العراقيين وتكررت التراشقات بين الطرفين وتطورت من جديد إلى مصادمات دامية. وكون بغداد بلا حكومة في لحظات انتقالية، هاجم الأعراب المحيطون بها بعض الأنحاء وشرعوا في النهب والسب وانضم إليهم بعض الرعاع فوقعت حوادث دامية خلقت الرعب في قلوب الأهالي مسلمين ومسيحيين، ولم يكن على رأس السلطة من يمكنه إصدار أوامر بقمع الشغب حتى وصل الأمر إلى الوصي عبد الإله الذي أصدر أمرًا بقمع العابثين بالنظام وخول استخدام القوة المسلحة، فأسرع لواء الخيالة مع سرايا المشاة المدعومة بالمصفحات، الى

شوارع العاصمة وأسواقها فاحتلوا مداخلها وبدأوا بإطلاق النار فقتل 110 أشخاص وجرح كثيرون».

وفي الحقيقة، لم تكن واقعة الفرهود هي الحدث الأول الذي حاولت الصهيونية استغلاله، إذ سبق لها استغلال قضاء الجيش العراقي على التمرد الآشوري نهاية الثلاثينيات، فأخذت تشيع أن هذا الإجراء فاتحة إجراءات أخرى ضد الأقليات ولا سيما اليهود (أحمد، 2013). ورغم أن (الفرهود) قد شكل صدمة قوية لليهود في العراق وفي بغداد على وجه الخصوص، حيث أدى، حسب بعض التحليلات، إلى توقف تطور الهويات الفردية لليهود، وبدء التفكير كجماعة نتيجة انعدام الثقة بين اليهود والمسلمين، إلا أن ذلك لا ينفي وجود قراءات متناقضة للحادثة حتى من وجهة نظر مثقفين يهود عراقيين، فكتّاب مثل أنور شاؤول ومير بصري، واصلوا الإصرار على موقف وطني عراقي، بل قومي عربي بالنسبة لمير بصري، وأكدوا على الانسجام والتعاون بين الطوائف الدينية المتنوعة، مقللين من آثار الأحداث الخطيرة مثل الفرهود، بينما اختلف رأي كتاب آخرين من جيل لاحق، مثل نعيم قطان وحسقيل حداد، الذين واصلوا التأكيد على علاقة الشك المتبادل بين المسلمين واليهود، وأصروا على التفرقة والاضطهاد لليهود، مشددين على أهمية الفرهود ونتائجه. ويبدو التناقض جليا في الحديث عن عدد اليهود الذين قتلوا خلال يومي الفرهود. فبينما يتحدث مير بصري وأنور شاؤول عن مائتي يهودي قتلوا، يتحدث حسقيل حداد عن تسعمائة قتيل، وينقل نعيم قطان عن كبير حاخامات بغداد أنه أعلن عن ثلاثمائة قتيل، وان كان قطان يرفض هذا الرقم، ويدعي أنه تم تقليل العدد لأسباب سياسية (شليبفر، 2007). مع العلم أن لجنة التحقيق الرسمية قدرت العدد بمائة وعشرة، وقدرها رئيس الطائفة اليهودية بمائة وثلاثين.[3]

على العموم، وبمعزل عن حادثة الفرهود المثيرة للجدل، فإن الوثائق الصهيونية نفسها تؤكد أنه لم يكن هناك مشكلة لاجئين عراقيين يهود، فرئيس الوزراء الأول (بن غوريون) هو الذي قرر جلب اليهود من الدول العربية بعد أن كانت الحركة الصهيونية قد استبعدتهم. وحدث ذلك بعد أن شعرت الحركة الصهيونية أنها تحتاج إلى تهجير اليهود من الدول العربية، من أجل تحسين الثقل الديمغرافي لليهود في مواجهة الفلسطينيين، بعد إغلاق منابع الهجرة الأوروبية (جرينبرغ، 2004، ص. 29).[4] حيث إنه وبعد أحداث الحرب العالمية الثانية ووضع اليهود في أوروبا، وارتباطا بمؤتمر بلتيمور في الولايات المتحدة عام 1942 وقراراته الهامة، أصبح تركيز الحركة الصهيونية ينتقل تدريجيا إلى اليهود العرب باعتبارهم يشكلون احتياطيا ذا صلة بالهجرة. وكان ديفيد بن غوريون عرض في خطابه، في كلية الزراعة في رحوبوت عام 1942، (خطة المليون) التي تتلخص في جلب مليون يهودي إلى أرض إسرائيل، على حد تعبيره. وقام إلياهو دوبكين، رئيس دائرة الهجرة اليهودية في الوكالة اليهودية، بشرح المكانة التي يحتلها اليهود العرب في المشروع الصهيوني بقوله: «الكثيرون من يهود أوروبا يتعرضون للإبادة، في الكارثة، كما إن اليهود في

3. شليبفر (2007) نقلا عن عباس شبلاق: Abbas Shiblak. 2005. **Iraqi Jews, History of Mass Exodus**, London,Saqi
4. لمزيد من التفاصيل، انظروا: بن دور، تسفي (1998). تاريخ لا يصدق. في: قراءات نقدية (مركز المعلومات البديلة). ص11.

روسيا يعيشون في سجن كبير لا يستطيعون الخروج منه» (شنهاف، 2007، ص. 57).

في الحقيقة، فإن اليهود العراقيين، كما غيرهم، لم يلتفتوا للصهيونية، وبادروا إلى مهاجمتها على نطاق شعبي ونخبوي رسمي. وقد أوجز ليونارد شتاين صاحب الكتاب «تصريح بلفور» بجملة واحدة «لم تستطع الصهيونية قط أن تمسك بزمام اليهود الشرقيين». وأشار إسرائيل كوهين، إلى المعارضة الشديدة التي كان يبديها الحاخام باشي، رئيس الحاخامين العثماني، في وجه تحركات هرتسل. ويشير خالد القشطيني في الموسوعة الفلسطينية، إلى معارضة السلطات الحاخامية في السلطة للمشروع الصهيوني من منطلق ديني يرفض التدخل السياسي والعسكري في إرادة الرب، وتهيبًا من أن يرتب ذلك رد فعل سيئًا تجاه اليهود، إضافة إلى أن هذا المشروع من بنات أفكار أجانب لم تجمعهم بيهود المنطقة رابطة اللغة أو الخلفية الحضارية (عبد المحسن).[5]

ويلاحظ أنه وإن كانت بعض الاعتراضات مقاومة للصهيونية إلا أنها كانت مقاومة سلبية لا تستند جوهريًا إلى معارضة الفكرة الصهيونية بحد ذاتها. وقد وجه مناحيم دانيال، أحد الإقطاعيين الكبار في محافظة بابل، رسالة إلى المنظمة الصهيونية سنة 1922 انتقد فيها بشدة النشاط الصهيوني في العراق، وفي رسالته إلى الأمين العام للمنظمة في لندن ردًا على طلب المنظمة من يهود العراق إرسال تبرعات قال: «إننا نقدر مثلكم النبيلة كجمعية صهيونية كما إننا معجبون بها [..] ولكن موضوع الصهيونية في هذا البلد، العراق، هو ليس موضوعًا مثاليًا [..] تمثل الصهيونية مشكلة يجب التعامل مع أوجهها المتعددة بعناية وحذر، إن هناك اعتبارات خاصة بوضعنا هنا لا تقاس بالاعتبارات الخاصة بيهود أوروبا تفرض نفسها علينا من هذه الناحية» (أعيان).[6]

وقد كان المثقفون والمفكرون اليهود العراقيون يدركون خطر الدعوة الصهيونية، فنشر (يوسف الكبير)، أحد كبار المثقفين اليهود وهو محام شهير، رسالة، في جريدة الأوقات العراقية عام 1938، فند فيها الادعاءات الصهيونية، وهاجم فيها الدعوة إلى خلق وطن قومي يهودي في فلسطين.

ورغم ترحيب سلطات الانتداب البريطانية بزيارات موفدي المنظمة الصهيونية للعراق، فقد تناقص حجم التبرعات التي قدمها اليهود العراقيون خلال 1925 إلى المنظمة الصهيونية. لكن معظم يهود العراق كانوا يتجاهلون هؤلاء الموفدين، وعندما سمحت السلطات العراقية للمنظمة الصهيونية بالعمل رسميًا في العراق، اعترض وجهاء المجتمع اليهودي المحلي على ذلك لدى سلطات الانتداب (أعيان).

وفي الأول من أيلول 1929، قام عدد من اليهود العراقيين بإرسال برقيات إلى جريدتي (العراق) و(النهضة)

5. عبد المحسن، جواد (بدون تاريخ). موقف اليهود الشرقيين من الصهيونية، على الانترنت: موقع نداءات من بيت المقدس. تم استقاء المعلومات من الموقع الإلكتروني في تاريخ 5 كانون الثاني 2014.
6. أعيان، أحمد باش. الصهيونية واليهود العراقيون 1860-1952، بحث على الانترنت: http://www.almosul.com. تم استقاء المعلومات من الموقع الإلكتروني في تاريخ 6 كانون الثاني 2014.

أعربوا فيها عن دعمهم للموقف العربي المعارض لوعد بلفور، وألقى الشاعر العراقي اليهودي أنور شاؤول كلمة في مؤتمر نصرة فلسطين ومناهضة المشروع الصهيوني، في 13 أيلول 1929، ندد فيها بوعد بلفور، وقد عبر عن فهمه والتزامه الوطني تجاه العراق على نحو دقيق في رسالته المفتوحة إلى السير جيلبرت كلايتون المندوب السامي في العراق عام 1929 بقوله: «أريد أن أخبر فخامتكم أن العراق بعرضه وطوله ينادي بالوحدة الوطنية، وأن العراق بشبابه وكهوله وشيوخه، حضرا وبدوا، يطلب الاستقلال التام الناجز»، وأكد في مذكراته أن الأمة العراقية تنتمي إلى جميع المواطنين بصرف النظر عن الدين (شليبفر، 2007). كما قام ممثلون عن المجتمعات اليهودية العراقية في كل مدن العراق بإصدار بيانات أدانوا فيها الحركة الصهيونية، وأكدوا ولاءهم للمملكة العراقية (أعيان).

لكن التحولات العاصفة في الأربعينيات من القرن الماضي كانت قوية جدًا، وأطاحت حتى بالموقف الأساسي لليهود العراقيين، نتيجة تصاعد الموقف العربي المؤيد للفلسطينيين والغاضب من ممارسات الحركة الصهيونية في فلسطين وسعيها للاستيلاء على هذا البلد. وقد أفرزت التطورات موجات من الدوائر المتصاعدة في علاقات اليهود مع بقية المواطنين. ولا يمكن إغفال الدور الرسمي ودور المنظمات القومية في تعزيز الصراع والكراهية. وإذا كان الموقف الرسمي يبدو متساوقًا وممالئًا للرغبات الاستعمارية ومنصاعًا لإرادتها بالتسليم بقيام إسرائيل، إلا أن موقف المنظمات القومية ينبع من رد فعل أيديولوجي وضع اليهود العرب في نفس المرتبة مع الصهاينة دون تفريق. وقد نشرت جريدة اليقظة البغدادية، على سبيل المثال يوم 16 أيار 1948، مقالة أيدت فيها الأحكام العرفية مستهدفة اليهود العراقيين جملة، باعتبارهم طابورًا خامسًا. كما دعت الجريدة، في عددها يوم 23 أيار 1948، لمقاطعة المتاجر اليهودية في العراق «لتحرير الشعب من العبودية الاقتصادية التي فرضتها الأقلية اليهودية عليه»، ورسميا، في العام 1948، خضع يهود العراق لألاعيب الابتزاز السياسي، ففي محادثة خاصة وغير رسمية مع السفير البريطاني في بغداد (سير هنري ماك)، هدد (نوري السعيد) بطرد 100 ألف يهودي عراقي بغرض إحراج إسرائيل (أعيان).

وطبقا لتقارير الدبلوماسيين الأمريكان والبريطانيين السرية إلى حكوماتهم، خلال آذار 1947، فإن رجال الدين اليهود وفريق من رجال الأعمال والمال كانوا «يعارضون التخلي عن مكانتهم ووضعهم المادي والمعنوي المتميز في العراق مقابل مستقبل غامض في فلسطين» مقابل آخرين منحازين عاطفيًا للصهيونية، ومستعدين لبذل الجهود والمخاطرة بالهجرة إلى فلسطين (أعيان).

وفي 11 كانون الأول 1947، قدّم ساسون خضوري استقالته من منصبه كحاخام لبغداد، وكان مناهضًا للصهيونية ويؤيده وجهاء بغداد لأنهم «وجدوا في الصهيونية مصدر بؤسهم وشقائهم»، وقال في استرجاع عام 1955: «الصهيونية العالمية نصبت نفسها مسؤولة عن يهود العراق مختلقة أخبارًا مزيفة عن مذابح ضد اليهود في العراق»، و«اليهود يعتبرون العراق وطنهم سواء في السراء أم في الضراء» (أعيان).

فشلت الحركة الصهيونية في العراق في الحصول على تأييد قطاعات كبيرة من المجتمع اليهودي العراقي. ولا شك أن اندماج اليهود في حياة الدولة الفكرية والاقتصادية لم يشجعهم على الارتماء في أحضان الصهيونية، مما دفع المؤسسات الصهيونية لتبني الرأي القائل بإمكان الاعتماد على يهود العراق في مجال التبرعات المالية وليس في مجال الهجرة، وهي وإن كانت تبرعات سخية إلا أنه لا يمكن إلا ملاحظة اقتصارها على أطراف محددة وليس عموم المجتمع اليهودي (أتينجر، 1995).

يمكن الاستنتاج أن أزمة اليهود العراقيين وهجرتهم إلى فلسطين كانت نتيجة لجملة من التحولات في العلاقات المتشابكة محليًا ودوليًا، لعب فيها الجانب الرسمي العراقي والحركة الصهيونية وسلطات الاستعمار أدوارًا مختلفة، وكذلك الصحافة الشعبية العراقية، التي عبرت عن اتجاهات في الرأي العام، كما سبق وأن ذكرنا أعلاه، والتي لم تميز بين اليهود والصهيونية بسبب عمى أيديولوجي أصابها، مرده الفورة الشعبوية الخاصة بالموضوع الفلسطيني في حينه. وكانت معضلة المجتمع اليهودي العربي في العراق أساسًا هي معضلة الاندماج المرتبطة بسقوط التنوير وفكر المواطنة أمام الصهيونية، وفكرتها القاضية بتجميع شعب المنفى، وإحياء إسرائيل. وكان من مظاهر هذا السقوط هزيمة حركة (كل شعب إسرائيل أصدقاء)، التي كان لها الدور البارز في أوساط اليهود العراقيين ويهود إيران، والتي تبنت موقفًا سلبيًا تجاه الحركة الصهيونية. ويمكن عموما الاستنتاج أن وجهتي نظر حكمتا الموقف اليهودي تجاه الصهيونية: وجهة نظر الخوف التي لم يكن لدى معتنقيها مانع من ممالأة الصهيونية والتعاطف مع طروحاتها، ولكن الخوف من ردة فعل المجتمع المحلي، ومن المصير المجهول الذي لم تكن الصهيونية قادرة على توضيحه، منع هؤلاء من مؤازرتها وتبني أفكارها علنًا. وتستند وجهة النظر الأخرى إلى فكرة الاندماج والموقف المبدئي المعارض للصهيونية الغريبة عن الشرق ويهوده.

من الناحية السياسية والحزبية، كان نشاط اليهود محددًا ضمن إطار الحزب الشيوعي السري. وأوائل العام 1945، عندما أجازت الحكومة تأسيس نقابات وأحزاب علنية، انتهز الشيوعيون الفرصة ودفعوا بعدد من أعضائهم لتأسيس جمعية (عصبة مكافحة الصهيونية)، التي انخرط فيها عدد من اليهود (معروف، 1974). إضافة إلى أن الأساليب التي اتبعتها الصهيونية، عبر تغذية المشاعر القومية الدينية، لم تكن ناجحة بسبب صعود تيار الحداثة لدى اليهود العراقيين، وتبني الكثيرين للعلمانية، وعدم حرصهم على التقاليد اليهودية بسبب اندماجهم أو سعيهم للاندماج في مجتمعاتهم (أتينجر، 1995، ص. 87). وقد أصدرت (عصبة مكافحة الصهيونية) في العراق عدة كراسات حول انعدام الصلة بين اليهود العراقيين والحركة الصهيونية، وأصدرت جريدتها (العصبة)، التي نشرت سلسلة مقالات حول فضح الصهيونية وارتباطها بالاستعمار العالمي، وأكدت باستمرار أن ليس لليهود قضية منفصلة عن شعوبهم، معتبرة أن الصهيونية عميلة للإمبريالية وأداة لها، ورأت في الفاشية والصهيونية «توأمين لبغي واحدة هي العنصرية» (المسيري، صفحات: 410-411).

وقد نُسب إلى مؤرخ صهيوني أن الحضور إلى اجتماع صهيوني منظم في بغداد، عام 1942، لم يتجاوز الأربعين شخصًا، في الوقت الذي كان الاتحاد اليهودي الشيوعي المعادي للصهيونية يصدر جريدة في بغداد بلغ توزيعها 6 آلاف نسخة (شابيرو، 1991، ص. 29). لكن هذا لم يستمر طويلًا، حيث تكالبت ثلاث قوى ضد التيار العلماني الصاعد بقوة: النظام القائم محليًا والخاضع للاحتلال وموقفه الرجعي من جهة، والحركة الصهيونية من جهة أخرى، والتيار الرجعي المتدين داخل الطائفة اليهودية من جهة ثالثة.

وفي الحقيقة، فإن موقف التيار المحافظ المتدين يستحق وقفة. ففي الوقت الذي سعى فيه التيار الحاخامي، لأسباب دينية، إلى معارضة الصهيونية في البداية، وحارب بشدة أفكار (كل شعب إسرائيل أصدقاء) الاندماجية المتحررة، نتيجة حرصه على عدم تداعي شبكة النفوذ التي يفرضها على اليهود، وحماية البنية البطريركية الإكليروسية للمجتمع اليهودي القديم، فإن هذه الطبقة وجدت نفسها تدريجيا في أحضان الصهيونية، ففشلت في المحافظة على نفوذها ومصالحها من جهة، وقدمت رعاياها لقمة سائغة للصهيونية من جهة أخرى.

وقد جاء ذلك كنتيجة ومترافقًا مع سعي الصهيونية لتعزيز فجوة الانعزال عبر التمسك بالشعائر كوسيلة لعزل اليهود عن مجتمعاتهم. ويمكن ملاحظة أن الصهيونية نجحت أخيرًا، بعد الحرب الثانية، بإعاقة الفكر العلماني نتيجة لتزايد المشاعر القومية وتوسيع أنشطة الصهيونية، وكان ذلك مقدمة لتحالف الصهيونية القومية مع الجهاز الديني الذي نظر بعين الحذر إلى انفتاح الطائفة واندماجها في المجتمع النازع إلى الأمام، مما يهدد بالخطر نموذج (الغيتو) المطلوب استمرار تكريسه لأغراض دينية من جهة، ولأغراض تختص، كما ذكرنا، بنفوذ ومصالح الجهاز الحاخامي من جهة أخرى.

والحقيقة، إنه وإن لقيت الصهيونية معارضة من دوائر دينية محافظة، مثل جماعة الحاخام ساسون خضوري-، إلا أن هذه الدوائر لم يكن بمقدورها حرف أنظار الشباب اليهود عن الحركة الصهيونية، وذلك لأن هذه الجماعات نفسها كانت متخلفة البنية، وعقبة في وجه الانفتاح، ولم تستطع تقديم بديل خاص بها، فتم ضرب البديل الآخر المتمثل في العلمانية وطريق الاندماج.

2. سورية ولبنان

يعود معظم يهود سورية ولبنان إلى أصول فلسطينية أو أندلسية (سفاردية)، وقد كان موطنهم الأساسي في سورية في دمشق وحلب، ولم يتجاوز تعدادهم، خلال القرون 16-18، بضعة آلاف، مع وجود تجمعات صغيرة انتشرت في حمص وحماة وبعلبك، وبشكل أقل في طرابلس وبيروت وصيدا، وبشكل محدود في بعض قرى جبل لبنان الدرزية (دير القمر)، وفي حاصبيا (البرق، 2014).

وقد ذكر الرحالة اليهودي - داوود الذي من بيت هيلل- أنه كانت في دمشق، عام 1824، حوالي 200 عائلة يهودية، و600 عائلة في حلب، و15 عائلة في بيروت وطرابلس، ما يقارب 2000 نفس. وبحسب رحالة يهودي آخر يدعى بنيامين، عاشت، عام 1884، في سورية ولبنان 2000 عائلة، ما يعادل 10 آلاف نفس، كان من بينها 600 عائلة في دمشق (أتينجر، 1995). ويشير أ. فرانكل-، في كتابه (إلى القدس)، أنه عاش في دمشق، عام 1856، خمسة آلاف يهودي، معظمهم من الأشكناز (أتينجر، 1995). وحسب الإحصاء السكاني العثماني في الثمانينيات والتسعينيات من القرن التاسع عشر، بلغ عدد يهود حلب وما يحيطها 9356 نسمة، ودمشق 6265 نسمة. وكان هناك هجرة إلى لندن وهونغ كونغ والأرجنتين وفلسطين (أتينجر، 1995، ص. 171).

وقد مثلت الحرب العالمية الأولى نقطة تحول في تاريخ اليهود في سورية، وانتقال أعداد كبيرة من يهود جنوب تركيا وإيران وأوروبا إلى سورية. وخلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر، عاش في سورية 3000 تاجر يهودي إيطالي، وعاش في دمشق وحلب، بداية القرن العشرين، حوالي عشرة آلاف يهودي (أتينجر، 1995، ص. 170). وحسب شهادة الرحالة والطبوغرافي النمسوي ألفريد فون كريمر (1828-1889م)، الذي كتب وصفا عن دمشق العثمانية عام 1853، فقد بلغ عدد اليهود، داخل الأسوار، 4000 نسمة، كان ألف منهم فقط ممن يدفعون الضرائب، ما يعني أن 3000 كانوا من اليهود الأجانب.

ونتيجة الصدامات التي رافقت ثورة السوريين الكبرى ضد الاستعمار الفرنسي عام 1925، هرب الكثير من اليهود الدمشقيين، ولم يتبق منهم، في العام 1926، سوى 6935 نفسًا، وارتفع عددهم، عام 1932، إلى 26250 نفسًا، وعام 1943، إلى 29770 نفسًا، بينما قدر عدد يهود سورية (يهود سوريون وغيرهم)، بعد العام 1947، بـ 5500 نفسًا (أتينجر، 1995، ص. 172).

ورغم أن المصادر تشير إلى أن بوادر ظهور الصهيونية بين يهود دمشق تعود إلى الحرب العالمية الأولى، حيث إن الدعاية الصهيونية قد جلبت أفواجًا من يهود سورية إلى فلسطين، إلا أن اليهود السوريين قاوموا الانتداب الفرنسي، ودعموا المطالب القومية العربية (كيوان، 1996، ص. 50)، وهم، على الأغلب، لم يكونوا صهيونيين، كما لم يهتموا بالأماني الصهيونية السياسية. وفي آذار 1945، تسجل مشاركة اليهود في مظاهرة كبرى في دمشق، تضامنًا مع الشعب الفلسطيني. وقد أرسل حاخام الجزيرة موشي ناحوم برقية إلى الرئيس محتجًا فيها على فتح أبواب فلسطين أمام الهجرة اليهودية.

كما كان لهم رد فعل سلبي تجاه قرار التقسيم، حيث قال وحيد مزراحي، النائب عن دمشق في 1947/12/1، في مجلس الشورى: «إن اليهود يستنكرون هذا القرار الجائر ويستنكرون أعمال الصهيونية ويعتبرون الصهيونية عقيدة سياسية غريبة منفصلة عن الدين [..] وأرجو أن يعلم الجميع إننا لا نشاطر الصهيونية عملها وإننا لا نتفق معها في غاياتها وإننا سنكون في مقدمة المجاهدين لدفع أذى الصهيونية عن هذه

البلاد». وأعاد الحاخام (صبري ليناد)، بعد سنوات، تأكيد مواقف اليهود الرافضين للصهيونية، معبرًا عن استنكار المجتمع اليهودي السوري لفكرة الوطن القومي اليهودي» (كيوان، 1996، ص. 51).

ولا بد من الإشارة إلى عوامل مختلفة أدت إلى هجرة اليهود السوريين، احتلت فيها الصهيونية مكانة هامشية، حيث إن هناك مؤشرات جدية تشير إلى أن الحركة الوطنية في سورية ولبنان، وكذا في فلسطين، ميزت، بشكل واضح - على خلاف الوضع في العراق –، بين اليهود كأتباع دين والصهيونية. ففي وثائق الهيئة العربية العليا لفلسطين، والتي أكدت أن «عداءنا للصهيونية لا يعني تعصبا طائفيًا ضد اليهود، كما يبدو هذا الاتجاه واضحا في أدبيات كثيرة. ولم يحدث الخلط إلا في حالات نادرة وأحداث منفردة، ولأسباب خارجية على الأغلب، ففي حلب مثلًا أدى قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين عام 1947 إلى هجمات على الكُنس اليهودية أدت إلى حرقها وتخريبها، ووضعت عام 1949 قنبلة في الكنيس اليهودي في دمشق ما أدى إلى مقتل 20 شخصًا، ومما يدل على هامشية الدور الصهيوني أن الهجرة من سورية لم تستهدف فلسطين إلا بشكل قليل، وبسبب انعدام الفرص ودور الوحدات الصهيونية الاستخبارية التي ساعدت ومهدت الطريق وقامت بتهريب الأشخاص عبر لبنان بالتعاون مع بعض المراكز السياسية المتفرنسة».

وقد انقسم يهود سورية من حيث الموقف من فلسطين أو الهجرة إلى مجموعتين رئيستين. ففي الوقت الذي نادت فيه مجموعة حلب بضرورة الهجرة إلى فلسطين للمشاركة في بناء إسرائيل، كانت مجموعة دمشق قريبة من خط اليهود الأوغنديين الذين وافقوا على فكرة التاج البريطاني إقامة دولة يهودية في أوغندا. وقد تمتع يهود حلب بدعم خارجي واسع، فأنشأوا مطبعة، وأصدروا، عام 1921، أول صحيفة يهودية بالعربية (العلم الإسرائيلي) التي تغير اسمها، عام 1946، إلى (السلام)، وكان لليهود منذ تأسيس أول برلمان سوري عام 1936 ممثل واحد حسب المادة 37 من الدستور.[7]

أما في لبنان، فكانت الهجرة اليهودية مرتبطة بالأوضاع السياسية والقلاقل التي واجهتها البلاد، ولم يتعرض اليهود لأي مشكلة في لبنان عكس الادعاءات الإسرائيلية، وأبرزها أنه عندما غزا الإسرائيليون لبنان عام 1982 واحتلوا بيروت، طلب بعض قادتهم من الحكومة الفرنسية رسميًا، ممثلة بسفارتها، مساعدتهم في التحقيق للكشف عن آثار مذبحة مزعومة حدثت يوم 9 أكتوبر 1945، وأودت بحياة 25 يهوديًا لبنانيًا في حي الزاهرية الطرابلسي، وقد جاء الرد الفرنسي الرسمي جازمًا بعدم وجود أي دليل على هذه الادعاءات. وأكبر دليل على ضعف التأثير الصهيوني على يهود لبنان وعدم انجرارهم إلى الصهيونية، أن هجرتهم لم تجر إلا لاحقًا وعلى مرحلتين بصمت وهدوء ملحوظين، الأولى بعد حرب حزيران 1967، والثانية بعد الحرب الأهلية عام 1975، وكانت الهجرة أساسًا إلى أميركا وفرنسا (فرحات، 2014).

7. طوطل، روبرت. يهود سوريا. في: معابر www.maaber.org/issue_march06/lookout5a/htm. تم استيفاء المعلومات من الموقع الإلكتروني في تاريخ 6 كانون الثاني 2014.

3. اليمن

وقع اليمن تحت الاحتلال العثماني عام 1872، وكان لذلك أثر بالغ في استقرار أحوال اليهود اليمنيين الاقتصادية، ومعاناتهم تلك الأوقات لم تكن ناجمة عن استهدافهم بالذات، وإنما نتيجة القلاقل والاضطرابات التي كانت تعم صنعاء نتيجة للصراع على السلطة، وكذلك غارات القبائل على العاصمة صنعاء.

ومن الملاحظ أن علاقتهم بيهود فلسطين كانت وطيدة، فكانوا يبعثون بتساؤلاتهم في الفقه إلى حاخامات القدس، الذين شكلوا، منذ القرن السادس عشر وخاصة منذ النصف الثاني للقرن التاسع عشر، أعلى سلطة روحية لكل يهود الشرق. وبالنسبة ليهود اليمن، فقد كانت فلسطين مركز تنوير منذ القرن السادس عشر لتردي واقعهم الفكري وتطور الأوضاع لليهود الفلسطينيين فكريًا من جهة أخرى (أتينجر، 1995، صفحات 127-132)، وهذا الأمر كان معزولًا عن هجرة اليهود لفلسطين، ولكنه ساهم في حفاظ يهود اليمن على رابطتهم بفلسطين، وهي رابطة قامت على المعتقدات الدينية والأفكار المسيحانية الخلاصية لدى مجتمع ديني اتسم بالسذاجة الدينية وحب الأرض المقدسة. وفي عام 1911، أوفد مكتب فلسطين (تأسس في يافا عام 1908 بقرار من المؤتمر الصهيوني الثامن في لاهاي 14-21 آب 1907 وأوكلت إدارته إلى آرثر روبين) صموئيل إليعيزر يافينيلي إلى اليمن. واعترف (يافينيلي) أن السؤال التقليدي الذي واجهه في كل المناطق التي زارها هو: هل هناك دلائل على قدوم المخلص المنتظر؟ وعندما لم يستطع الإقرار بوجود المخلص تراجع شغف اليهود بالهجرة (أبو جبل، 1999، ص. 167).

بعد الحرب الأولى وإثر تولي الإمام يحيى الحكم في اليمن، وفر لليهود الأمن، ولكنه حجم أنشطتهم الاقتصادية، بحجة منعهم من احتكار مصادر الاقتصاد في اليمن. وكان تدهور أوضاعهم جزءًا من لوحة عامة للتدهور الاقتصادي الذي عم البلاد نتيجة لسياسات الإمام. وقد أدى ذلك لسهولة تأثرهم بالشائعات التي تم بثها من الصهاينة عن شراء البارون روتشيلد لأراض في فلسطين، وقيامه بتوزيعها على اليهود، وهي شائعات كان الغرض منها تشجيعهم على الهجرة إلى فلسطين وتصوير الحياة الرغدة التي تنتظرهم هناك، أضيف إليها الإعلانات التي وضعها إسماعيل باشا حقي والي اليمن على منازل اليهود، التي تفيد أنه سيسمح لهم بالهجرة وشراء الأراضي في فلسطين، وكان لهذا العمل الدعائي، اقتصادي الأسباب في الأساس وصهيونيها في الهامش الأكبر، تأثيره في هجرة اليهود من صنعاء ومحيطها خلال عامي 1881-1882، مع العلم أن الهجرة الكبرى ليهود اليمن كانت بين أعوام 1949- 1951 ضمن عملية بساط الريح (أتينجر، 1995).

ديمغرافيا حسب الرحالة يامتوف زيماح (كان مدير مدرسة يهودية في بيروت، وقام برحلة إلى اليمن عام 1910 لصالح المحفل الإسرائيلي العالمي)، فقد بلغ عدد اليهود 12106 نسمة، يعيشون في 150 محلة تقريبًا. أما أمين الريحاني، الذي قام برحلة عام 1924، فقدر عددهم بحوالي 20 ألفًا، يعيش ستة آلاف

منهم في صنعاء. وعام 1937، قام لاديسلاس فاراغو بجولة، فقدر عددهم بمائة وستين ألفا. ولكن المؤرخ جوزيف شيختمن يؤكد أن أي رقم يتجاوز الخمسين ألفا مبالغ به، وكان هو قد حدد عدد اليهود في اليمن، نهاية القرن التاسع عشر، بثلاثين ألفا، ويرى أن عدد يهود اليمن ومن ضمنها عدن تراوح بين 45 إلى 50 ألفًا عام 1946 (أبو جبل، 1999). وخلال الحرب العالمية الثانية هُجّر 4267 يهوديًا من اليمن. وهذا ما كشفت عنه يديعوت أحرونوت في الذكرى الستين للنكبة، وهو سابق على عملية بساط الريح (العيسة، 2008). وقد استغلت المؤسسات الصهيونية ما تصفه يديعوت بظروف صعبة عاشها اليمن من جوع وضنك وانعدام أمان، وبدأت بنقل اليهود إلى عدن والتي كانت مستعمرة بريطانية، ثم تم تجميعهم في معسكر صحراوي في حاشد سمي –الخلاص: جيئولا–، وبني لهم معسكر بجوار معسكر للسجناء أقيم في قرية (ميحازبين)، وأدار المعسكرين طواقم بريطانية بإشراف من حكومة الاحتلال في عدن.

إن قصة تجميع يهود اليمن في معسكرات تمهيدًا لتهجيرهم بالتعاون مع الإمام يحيى وسلطات الاحتلال البريطاني، إضافة إلى ما عرف عن يهود اليمن وعلاقتهم الرومانسية غير الصهيونية مع فلسطين، كل هذا يدعم فرضية تضليلهم، وإغرائهم، وتهجيرهم تاليا إلى فلسطين، وأنهم لم يهاجروا بإرادتهم الحرة.

ومن المهم الاشارة إلى عدم وجود رواية عربية موازية لما حدث تلك السنوات، وقد استولى عليهم إيمان عميق بأن الفكرة الصهيونية (إسرائيل) هي فكرة مضادة لأصول الديانة اليهودية، وقد أوضح الحاخام الأكبر ليهود اليمن (يعيش بن يحيى) أن الحياة في (إسرائيل) لا تروقه لمظاهر الانحلال الأخلاقي المتفشي فيها على حد تعبيره.[8]

وهو يزعم، في مقابلة فريدة معه، أن عددهم في اليمن قبل الهجرة كان حوالي ربع المليون نفسًا، مع العلم أن عددًا كبيرا منهم، وبعد رفع حظر السفر، لم يتجهوا إلى فلسطين المحتلة بل إلى لندن ونيويورك، بسبب اعتقادهم ببطلان قيام (إسرائيل). والاعتقاد ببطلان الصهيونية لدى يهود اليمن، إضافة إلى أصوله الدينية، يعود إلى الحملة الضخمة التي قامت بها منظمة (ساتمار حسيديم) التي نشأت في رومانيا في القرن الثامن عشر.[9]

وبالخلاصة، يمكن تلخيص عوامل هجرة يهود اليمن بالنقاط التالية:

1. استغلال الصهيونية للدوافع الدينية، ورغبة اليهود برؤية (أرض الميعاد)، والموت فيها.
2. الترويج لفكرة قرب ظهور المسيح المخلص، وتحقيق عقيدة الخلاص.
3. الهرب من الضائقة والجفاف، والسعي لحياة أفضل.

8. «يهود اليمن: أسرار طائفة تعتنق مبادئ مضادة لإسرائيل». موقع قناة العربية. 20 أيلول 2004. في: http://www.alarabiya.net/articles/2004/09/20/6465.html. تم استقاء المعلومات من الموقع الإلكتروني في تاريخ: 15 آذار 2014.
9. المصدر السابق.

4. احتدام الصراع العربي الصهيوني، وخوف يهود اليمن من التأثير السلبي عليهم.
5. غياب الحركة الوطنية اليمنية القادرة على التصدي للطروحات الصهيونية وطمأنة المواطنين اليهود تبعا لتخلف البنى الاجتماعية والثقافية في اليمن ككل.
6. انعدام الفرص والخيارات التي جعلتهم يسلمون أمرهم للحركة الصهيونية وموفديها.

4. المغرب

كان مجتمع اليهود المغاربة من أكبر مجتمعات اليهود العرب، وما زال. حيث شكل 50% من اليهود من سكان شمال إفريقيا. وكان اليهود المغاربة في حدود 250 ألف نفس عام 1940، ما يمثل، في حينه، 10% من مجموع سكان المغرب. وقد تمتعوا كما سائر سكان شمال إفريقيا بوضع أهل الذمة حتى الثلث الأول من القرن التاسع عشر.

يصنف اليهود المغاربة ضمن قسمين، (المغوراشيم) ومعناها (المطارد) وهم يهود الأندلس، و(الطشابيمّ) وهم اليهود الأصليون من أبناء المغرب.

ويوضح الجدول التالي (جدول 2) تغير أعداد اليهود في المغرب ما بين 1911 و1951:

جدول 2: أعداد اليهود في المغرب ما بين 1911 و1951 (بالآلاف)

1911	1921	1926	1931	1936	1947	1951
100,000	110,000	125,000	143,000	186,000	230,000	199,200

المصدر: أتينجر، 1995، ص. 401.

أدى قيام إسرائيل عام 1948، وانتهاء عهد الحماية الفرنسية والإسبانية في المغرب عام 1956، ووقوع حرب 1967، إلى هجرة الكثير من اليهود المغاربة إلى فلسطين، وبعضهم إلى فرنسا وكندا، وبنسبة أقل إلى إسبانيا (الطيار، 1990، ص.235).

عمل اليهود المغاربة في العديد من المهن، وقد كان تجار السلطان من الطبقة اليهودية البرجوازية بالذات، وتولوا إدارة أموال السلطنة في عملياتها مع العالم المسيحي، حيث لعبوا دور الوكيل والوسيط التجاري بين الدول الأوروبية والمغرب، كما منحتهم السلطات المحلية مسؤولية تسيير شؤون الضرائب والجمارك (هيكل، 2007، صفحات: 29-30).

وتجب الملاحظة هنا أن تحسن أوضاع البرجوازية اليهودية كان يقابله تدهور أوضاع غالبية المجتمع اليهودي، الذي لم يكن يتمتع طبعا بعمومه بذات النفوذ والقدرة على الوصول إلى المنافع المختلفة. وبعد

عودة الأوضاع للتدهور في عهد محمد الرابع، نتيجة للاحتجاجات التي أبدتها شخصيات مغربية هامة رأت في اعتماد السلطنة على اليهود تدهورًا في النظام، سعى اليهود للحصول على رعاية الدول الأوروبية، مما أثار غضب السلطات المحلية، وقد حصلوا على ذلك مثلًا في الاتفاقية المغربية- الإسبانية عام 1861، والتسوية المغربية –الفرنسية عام 1863. وإذا كان مندوبو المغرب لم ينجحوا في إطار مؤتمر مدريد عام 1880 في إقناع الدول الأوروبية بضرورة التقليل من عدد اليهود المتمتعين بالحماية، إلا أن المؤتمر وافق على طلب المغرب الداعي لتبني مفهوم المواطنة المغربية، وكانت هذه الحالة مدعاة هياج اليهود الذين لم يروا أفقا للاندماج (بن منصور، 1985، صفحات: 103-104 وما بعدها).

انقسم اليهود إلى فئتين، حيث تمتع عدد كبير منهم بالجنسية الفرنسية، وتحدثوا الفرنسية، والجزء الآخر حافظ على طبيعته العربية. وعندما شعر اليهود المتفرنسون بقرب استقلال المغرب، وأن الحماية الفرنسية سترفع عنهم، شد معظمهم الرحال إلى فرنسا، بينما بقيت الفئة الأخرى تبحث عن سبيل للنجاة، ووقعت في براثن الصهيونية.

وبالعودة إلى الأرقام، فحسب تعداد أجرته سلطات الحماية الفرنسية لسكان المغرب في المنطقة الفرنسية عام 1936، ونشر في الصحيفة الرسمية الفرنسية في 14 تشرين الأول 1938، كان إجمالي عدد اليهود 182 ألف نفس، وخلال ذلك الوقت كان من الممكن إحصاء نحو 20 ألفًا في المنطقة الإسبانية والدولية، مع إضافة 8 آلاف من غير المغاربة.

وحسب إحصاء 1947، كان هناك 203 آلاف نفس، ما يعادل 2.35% من مجمل تعداد السكان، في المنطقة الفرنسية (الريف في الشمال وسواحل المتوسط والأطلنطي)، فيما بلغ عدد اليهود في المنطقة الإسبانية 25000 نفس، منهم 10 آلاف في طنجة الدولية و13667 في المدن، والباقون في الريف والبادية (هيكل، 2007، ص. 20).

وتشير إحصائيات متعددة (هيكل، 2007، ص. 63) إلى هجرة 1000 يهودي فقط ما بين 1919-1947 إلى فلسطين. وكان الهدف الرئيسي للحركة الصهيونية من انخراط يهود المغرب في النشاط الصهيوني ممثلًا في الحصول على المساهمات المالية لدعم الحركة في أوروبا.

وتعود بدايات الحركة الصهيونية في شمال إفريقيا إلى سنوات 1897-1900، عندما قررت اللجنة الصهيونية العامة تعيين الدكتور (فالنسين الجزائري) ممثلًا للحركة في دول المغرب العربي، وكانت بداية الانتشار في تطوان وموغادير وآسفي وغيرها.

وقد تعامل عامة اليهود مع مسألة الهجرة كفريضة دينية، جاهلين الطابع العلماني للحركة الصهيونية التي نجحت في إخفائه مؤقتًا، مركزة على الطابع المسيحاني الخلاصي، وتقديم الصهيونية كامتداد واستمرار وإحياء لليهودية.

ولا شك أنه كان ثمة عدد من العوائق الصادة للانخراط اليهودي المغربي في الصهيونية، نجملها فيما يلي:

1. تأسست الروابط الصهيونية في المغرب على يد ناشطين صهيونيين غير محليين من الأوروبيين دون معرفة بالتوجهات السياسية للفكر الصهيوني (هيكل، 2007، ص. 70).
2. اتسمت العلاقة بين الروابط الصهيونية في المغرب والحركة الصهيونية العالمية بسوء التواصل، بسبب عامل اللغة على وجه الخصوص، حيث اعتادت الحركة الصهيونية إرسال المواد الدعائية بلغة اليديش أو الألمانية، بينما كان يهود المغرب لا يجيدون إلا الفرنسية أو العربية والعبرية.
3. عجز الحركة عن التغلغل في الأوساط المثقفة، كون هذه الأوساط كانت خاضعة للنموذج الفرنسي الذي تبنته مدارس الأليانس (هيكل، 2007).
4. يضاف إلى ذلك خيبة الأمل والإحباط لدى يهود المغرب من سياسات الحركة الصهيونية التي لم يكن هدفها تهجيرهم في البداية إلى فلسطين، ولم تقدم لهم يد العون، وأغلقت في وجههم منافذ الهجرة ومنافذ الدخول إلى فلسطين، حيث انصبت أولوياتها على جمع التبرعات، كما انعكس ذلك في مقالات هيئة تحرير صحيفة -المستقبل المصورة- المقربة من الحركة يوم 23 آذار 1927 «لا نرغب بالحصول على الذهب الأمريكي فحسب، بل على الذهب المغربي أيضًا».

إلا أنه وكما في العراق، اقتصر جمع الأموال على جزء من الطبقة القادرة، التي بدأت في نهاية الثلاثينيات، تنتهج سياسة متحفظة مع الصهيونية، مشترطة حصول التنظيم الصهيوني في المغرب على اعتراف السلطات، وأن يتوقف عن أي عمل يسبب مخاطر من أي نوع لهذه الطبقة، مع السكان المحليين.

كما كان زعماء هذه الطبقة يسارعون للتحول إلى معارضة الصهيونية في حال عدم موافقة السلطات، كما كانوا يحجمون عن أي نشاط صهيوني، بل يعارضونه بشدة في وقت اشتداد الأزمات في فلسطين.

وعندما صعد مثقفون من الطبقة الوسطى ما بين 1918-1923 إلى قيادة التنظيم الصهيوني في المغرب، لم يحظوا بأية رعاية أجنبية، كونهم من المحليين. وسرعان ما تسلمت القيادة مجموعة من المثقفين المتفرنسين حملة الجنسية الفرنسية، وقد مثلت هذه الفئة نسبة ضئيلة في مقابل الدوائر المثقفة اليهودية العريضة التي عبرت عن تحفظها ومعارضتها في كثير من الأحيان للنشاط الصهيوني (هيكل، 2007، ص. 77).

لا شك أن هناك العديد من العوامل التي ساهمت بدفع الأغلبية اليهودية في المغرب إلى أحضان الصهيونية، رغم طابع التعلق الديني الخلاصي، البعيد كل البعد عن الأيدولوجية الصهيونية. ومن أبرز هذه العوامل رفض السلطة الفرنسية منح الجنسية الفرنسية لليهود المغاربة، ما ساهم في ابتعادهم عن ثقافة الأليانس، ووجدوا أن تحررهم الذاتي لن يكون من خلال النموذج الفرنسي، فبدأوا بالتقرب للصهيونية التي استغلت

الوضع منذ الثلاثينيات، حتى أن الأليانس نفسها، والتي شكلت منذ 1862 نموذجًا مواجها للصهيونية، أصبحت تتبنى وجهة نظر معتدلة تجاهها، ثم أصبحت شريكة لها (هيكل، 2007، ص. 75).

وثمة أسباب عديدة لتحقيق الحركة الصهيونية نجاحات في المغرب، وتعميق الانجذاب الشعبي اليهودي إليها، منها ما حدث قبل الحرب العالمية الثانية، وأثناء الحرب، وبعدها.

فعشية الحرب الثانية، فشلت سلطات الحماية الفرنسية في سن قوانين تفصل اليهود تمامًا عن الحكم المغربي وإلغاء وضعهم كرعايا للسلطان، حيث رفضت منحهم المواطنة الفرنسية أو أية امتيازات قانونية، ما أدى، كما ذكرنا، إلى انهيار النموذج الفرنسي، واتجاه اليهود لقطع صلاتهم مع الأليانس، وإنهاء أحلامهم الفرنسية. ترافق ذلك مع التطورات السياسية في فلسطين عامي 1936-1939، وتنامي الاستيطان، والدعوة لزيادة الهجرة. كل هذا فتح لهم (نافذة أمل) في اتجاه جديد.

الاختراق الكبير حصل أثناء الحرب، وتحديدًا بين عامي 1939-1945، حيث غيرت الأحداث النازية جوهريًا علاقات المؤسسة الصهيونية باليهود، وارتبط ذلك أساسًا بإغلاق منابع الهجرة الأوروبية، وحاجة الحركة الصهيونية لمنابع جديدة لاستمرار الضخ الديمغرافي في فلسطين. ترافق ذلك مع الآثار السلبية لحكم فيشي 1940-1942، والتغير العنيف في العلاقة مع فرنسا، وتراجع الأليانس عن سياساتها الموالية لفرنسا، واتجاهها للانخراط في الصهيونية، مع ما رافق هذه الفترة من ظهور حركات استقلال قومية، ومخاوف اليهود من خروج فرنسا من المغرب وتركهم في العراء.

أدت هذه التطورات كلها إلى تغيير سياسات المنظمة الصهيونية في التحول من جمع التبرعات إلى التأهيل للهجرة، ولكن كل تلك العوامل كانت عوامل خارجية. وسنجد أن الخروج اليهودي من المغرب له أسباب مباشرة يمكن تلخيصها بما يلي:

1. بحلم الخلاص المسيحاني كفرض ديني، وتحقيق حلم الأنبياء.
2. الخوف المباشر الذي اعتلى مجتمعهم نتيجة الخروج الفرنسي، والخوف من التحول المقلق للأحداث، وخسارة استفادتهم المباشرة من النظام الاستعماري.
3. أسباب ثقافية نبعت من القلق من نظام التعريب، بعد ضم ثلث المؤسسات التعليمية التابعة للأليانس إلى إطار وزارة التربية.
4. سبب اقتصادي من اتخاذ الحكومة الاستقلالية إجراءات اقتصادية تؤدي إلى سلبهم امتيازاتهم.
5. سبب سياسي يلخصها جميعًا، مرده تقارب المغرب مع نظام عبد الناصر في مصر، وتنامي التيار القومي، ما أثار مخاوف تتعلق بالأمن الشخصي (هيكل، 2007، ص. 92).

وقد وجد هؤلاء أن إسرائيل هي المنفذ الوحيد بعد أن أغلقت فرنسا أبوابها في وجوههم. وكل هذه الأمور

التي ذكرناها تعكس أمرًا أساسيًا هو عدم وجود أي سبب صهيوني جوهري للهجرة.

ويلاحظ أن رد الفعل لم يكن موحدًا، فأبناء الطبقة الثرية كانوا يميلون إلى فرنسا، وتوجه أغلبهم إليها وإلى دول غربية أخرى بحكم قدراتهم الاقتصادية، والطبقة المتوسطة التي تلقت أصلا ثقافة وتعليما فرنسيين، عندما دعتهم الحاجة هاجر معظمهم إلى فرنسا، ولكن هجرتهم إلى إسرائيل لم تكن خيارًا أولًا، وأغلبية المستجيبين للصهيونية كانوا ممن لم يملكوا القدرات أو أي خيار آخر من الطبقة الفقيرة. وبالتالي، لم تكن الهجرة صهيونية بقدر ما كانت بحثًا عن أوضاع أفضل، يعكس ذلك أن أبرز الناشطين الصهاينة لم يكونوا من ضمن المهاجرين إلى فلسطين (هيكل، 2007، ص. 107).

5. مصر

منذ العام 1805 وإلى 1948، شهد المجتمع اليهودي في مصر تطورًا وازدهارًا في عهد حكم أسرة محمد علي، فتمتعت برعاية الحكومة. كما شجع تسامح (محمد علي) وخلفائه على قدوم الأجانب بأعداد كبيرة، ومنهم يهود من جهات متعددة من البلقان وشرق أوروبا واليونان. وقد تحددت وضعية اليهود مبكرا من قبل (محمد علي)، الذي، وبعد طرد الموظفين الأجانب من حكومته، أمر عام 1828 بإبقاء صراف المواشي اليهودي، لأنه في المقام الأول مصري، وأن قرار العزل الذي أصدره يخص الأرمن والروم غير المصريين «أما المسلمون والأقباط واليهود فإنهم مصريون» (عبد الظاهر، ص. 18).

ويوضح الجدول التالي (3) أعداد اليهود في مصر ما بين 1897 و1937.

جدول3: أعداد اليهود في مصر ما بين 1897 و1937 (بالآلاف)

*1800	*1850	*1882	1897	1907	1917	1927	1937	*1947
5,000	7,000	10,000	25,200	38,600	59,600	63,550	62,953	65,641

المصدر: أتينجر (1995). ص. 401. تم التعديل على الجدول بإضافة الأعمدة التي تحتوي (*)، مستخرجة من الإحصاءات العامة للقطر المصري: موجودة في: عبد الظاهر (بدون تاريخ). ص.27.

وكان إحصاء العام 1897 هو أول إحصاء رسمي مفصل لمصر، حيث بلغ التعداد العام للسكان 9,734,000 نسمة، وبلغ عدد اليهود 25,210، عاش في القاهرة 11,609 نسمة، وفي الإسكندرية 9,831 نسمة، وتوزع الباقي على مدن عدة خصوصًا المنصورة، وطنطا، والمحلة الكبرى. وتعود الزيادة الملحوظة في إحصاء عام 1917 إلى تدفق ولجوء 11,277 من يهود فلسطين إلى مصر في الحرب العالمية الأولى عام 1914.

ويشير مصدر آخر أن عددهم بلغ عام 1947، في عهد الخديوي فاروق-، 65,639 نفسًا.تمتع اليهود المصريون، في ظل دستور 1923، بحقوق المواطنين، حيث أقر هذا الدستور مبدأ المساواة في الحقوق المدنية والسياسية، وعاشوا في كنف رعاية الحكام حتى 1952.

وإذا كانت علاقة اليهود بحكام مصر جيدة في مجملها، فقد استطاعوا كأفراد إقامة علاقات طيبة مع الحركة الوطنية المصرية، فاكتسبوا ثقة الوطنيين المصريين؛ وتسلم أحدهم وهو يوسف باشا قطاوي منصب وزير المالية في حكومة سعد زغلول عام 1924، ثم اختير وزيرًا للمواصلات في حكومة أحمد زيود باشا عام 1925.

وكان قد وفد إلى مصر عام 1896 ماركو باروخ الذي سعى إلى تأسيس هيئة صهيونية، فأنشأ عام 1897 جمعية (باركوخفا) الصهيونية، وكان معظم قادتها، في سنواتها الأولى، من الأشكناز. ورسميًا، فإن (منظمة الصهيونيين) في مصر برئاسة (جاك موصيري)، التي أسسها عام 1917 (ليون كاسترو)، تعد أول فرع رسمي للمنظمة الصهيونية العالمية في مصر.

نشطت الصهيونية في مصر بشكل كبير بحكم تدفق اللاجئين من تركيا زمن الحرب، وسعى (فلاديمير جابوتنسكي) إلى إنشاء قوة مسلحة بهدف استخدامها في المساومة السياسية مع بريطانيا.

وأدت الجهود إلى تشكيل فوج البغالة المؤلف من 500 متطوع، منهم 350 من يهود فلسطين، و150 من يهود الإسكندرية (يئور، بدون تاريخ، ص. 90)، ثم تشكلت الكتيبة رقم 48 بقيادة ضابط يهودي متصهين (نصار، 1980، ص. 113).

وقد قدر عدد اليهود المصريين قبيل العام 1948 بـ75 ألف نفس. وبسبب الوضع المميز لهم في مصر اقتصاديًا واجتماعيًا وسياسيًا، فإن أرقام الهجرة كانت ضئيلة قبل 1948، حيث هاجر منهم إلى فلسطين 2000 شخص فقط (شمالي والدجاني، 1990، ص. 25).

ويمكن القول عمومًا أن علاقة اليهود في مصر لم تكن سلبية تماما مع الأمل الصهيوني. فعندما صدر وعد بلفور، أقامت المنظمة الصهيونية حفلًا بمدينة الإسكندرية، حضره محافظ المدينة حينها أحمد زيود باشا وكبار رجال المجتمع اليهودي، واختتم بكلمة لـجاك موصيري رئيس المنظمة، ولا يوجد معلومات عن عدد الحضور في هذا الحفل (نصار، 1980، ص. 25). ولكن يتوفر لدينا معلومات عن حفل آخر أقيم تحت رعاية اللجنة المركزية لمنظمة الصهيونيين يوم 11 تشرين الثاني 1917، حضره جمهور غفير (7,000-8,000) شخص، وحضره أيضا زيود باشا ووفود تمثل 20 منظمة مختلفة في مصر وفلسطين، وحضره كذلك ديللا بيرجون حاخام الإسكندرية.

وفي مواجهة النشاط الصهيوني المحموم، ظهرت منظمات يهودية مقاومة للنشاط الصهيوني، أبرزها

(الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني (حدتو)، التي كانت قد نشأت عن اندماج فصيلين انشقا سابقًا عن (الاتحاد الديمقراطي)، الذي كان أسسه هنري كورييل مع آخرين (عبد الظاهر، ص. 137). وقد سعت حدتو إلى تكوين (الرابطة الإسرائيلية لمكافحة الصهيونية) المعروفة باسم (رابطة مكافحة الصهيونية)، التي تأسست في أيار 1947 (نصار، 1980، ص. 29)، وقد أصدرت بيانًا «ضد الصهيونية: في صالح اليهود، في صالح مصر»، وحددت أهدافها:

1. الكفاح ضد الدعاية الصهيونية التي تتعارض مع مصالح كل من اليهود والعرب.
2. الربط الوثيق بين يهود مصر والشعب المصري في الكفاح من أجل الاستقلال والديمقراطية.
3. العمل على التقريب بين اليهود والعرب في فلسطين.
4. العمل على حل مشكلة اليهود المشردين (المشتتين في بعض المصادر).

وقد قصرت الرابطة عضويتها على اليهود المصريين فقط انطلاقا من اعتبار تثبيت المعارضة اليهودية المبدئية للصهيونية، وأن مقاومة الصهيونية لها أساس مبدئي كونها حركة عنصرية، وأساس وطني كونها حليفة للاستعمار (عبد الظاهر، ص. 138). وحذرت، في نداء آخر إلى يهود مصر، من أكاذيب الدعاية الصهيونية. ولكن وزارة الشؤون الاجتماعية رفضت التصريح للرابطة بالإشهار، ثم أمر محمود فهمي النقراشي باشا رئيس وزراء مصر بحلها في حزيران 1947 بحجة المحافظة على النظام والأمن العام في البلاد. وقد قال عزرا هراري-، سكرتير الرابطة، بأن الصهيونية تحظى بتأييد البوليس المصري نفسه (عبد الظاهر، ص. 139). وقد انحلت الرابطة مع استمرار النشاط الصهيوني. وتعكس أقوال (هراري) وحل الرابطة حقيقة أن السلطات المصرية، آنذاك، لم تهتم برصد النشاط السياسي لليهود ما عدا اليساري والشيوعي، غاضة الطرف عن النشاط الصهيوني.

من جهته، كان رينيه قطاوي-، رئيس (الطائفة اليهودية) في ذلك الوقت، يبذل مساعيه لوقف النشاط الصهيوني في البلاد، حرصا على مكانة اليهود وعلاقتهم الطيبة بالمصريين (عبد الظاهر)، وكذلك اتبع حاييم ناحوم-، كبير حاخامات، القاهرة ذات الطريق.

وبعكس موقف الحكومة من رابطة مكافحة الصهيونية، فإنها لم تصدر حتى عام 1948 أي قانون بحظر الأنشطة الصهيونية، وإن كان الاهتمام بها بدأ منذ 1945، عندما نظم الإخوان المسلمون مظاهرات في 2 تشرين الثاني ضد وعد بلفور، تحولت إلى أعمال فوضى، هوجم خلالها الحي اليهودي، واشتعلت النيران في المعبد الأشكنازي، مما زاد قلق اليهود، ودفع السلطات للاهتمام بالنشاط الصهيوني في موازاة اهتمامها بنشاطات الإخوان، واتخذت، عام 1948، قرارًا بعدم مغادرة أي يهودي البلاد إلا بتصريح من السلطات، وصودرت ممتلكات حوالي 100 شركة يهودية متصلة بالصهيونية وقيادة الاستيطان (أتينجر، 1995،

ص. 431). واعتقلت السلطات مئات اليهود من صهاينة وشيوعيين، وجرت عمليات انتقامية مبعثها الغضب الشعبي ضد اليهود في شهور تموز وأيلول وتشرين الثاني، أدت إلى مقتل وإصابة العشرات من يهود القاهرة والإسكندرية، مما سارع بتصفية الوجود اليهودي رغم الهدوء السائد أعوام 1949-1953. ولكن سرعان ما تغيرت الأوضاع عام 1954 بمبادرة صهيونية هذه المرة، حيث، وبعد أن اتفقت مصر مع البريطانيين على بنود اتفاقية الجلاء، وضعت المخابرات العسكرية في الجيش الإسرائيلي خطة للتخريب في مصر تحت اسم –عملية سوزانا–، وبدأ التنفيذ في 2 تموز 1954. وانكشف أمر الشبكة بعد شهرين، وأعتق جميع أعضائها، وعرفت، إعلاميا، باسم «فضيحة لافون» نسبة إلى بنحاس لافون، وزير الدفاع حينها في حكومة ديفيد بن غوريون.

وتشير المصادر إلى أن معظم اليهود المصريين كانوا يشعرون بالأمن والراحة فترة الثلاثينيات. ويلاحظ أنه في الفترة ما بين 1917 و1947 لم يغادر سوى 4,020 يهوديًا فقط إلى فلسطين، وكان جزء كبير منهم أصلًا من اليمنيين أو المغاربة أو الأشكناز الذين أقاموا في مصر بشكل مؤقت (بينين، 2008، ص. 227)، ومن البديهي أن يكون منهم يهود فلسطينيون من الذين وصلوا إلى مصر عام 1914. ويمكن قياس قوة الصهيونية في نهاية الحرب العالمية الثانية بحقيقة أنه أثناء الإعداد للمؤتمر الصهيوني الثاني والعشرين عام 1946، قام 7,500 يهودي فقط (10% فقط من مجتمع اليهود المصريين) بشراء شيكلات (تعني دفعهم لرسوم العضوية، ما يخولهم التمثل في المؤتمر).

ولمزيد من التفصيل، فإنه منذ أيار 1948 وحتى نهاية العام، هاجر من مصر 179 يهوديًا فقط، وفي 1949، هاجر 7,145 شخصًا، وفي 1950، ترك البلاد 7,178 شخصًا، وعام 1951، هاجر 2,086 فردًا، أي أن هناك 16,588 يهوديا مصريا هاجروا إلى فلسطين (إسرائيل) من مجموع المهاجرين البالغ 25,186، أي من ترك مصر تبلغ نسبتهم 38.3%، هاجر منهم 57.6% فقط إلى فلسطين (إسرائيل) (عبد الظاهر، ص. 155).

وكانت قوة الدفع التي حصلت عليها الصهيونية في الحالة المصرية ناتجة عن ثلاثة عوامل خارجية: المبعوثين الصهاينة من فلسطين، والنشطاء الصهاينة بين قوات الحلفاء، والفيلق اليهودي الفلسطيني المتمركز في مصر؛ وبالأساس، سلسلة الأحداث التي شجعت اليهود المصريين على الخروج باستنتاجات عن مستقبلهم قائمة على فهم خاص لمغزى الكارثة التي حلت بيهود أوروبا، فهم ناتج عن وجود طائفة أشكنازية كبيرة في مصر أكثر تأثرا بالأحداث الأوروبية من المجتمعات المحلية (عبد الظاهر، ص. 228).

وفي النظر إلى موضوع اليهود المصريين، تجب ملاحظة أن أقلية ضئيلة فقط كانوا نشطاء صهاينة حتى بعد العام 1948، وأن معظم اليهود الذين غادروا مصر بعد 1948، خاصة هؤلاء الذين لديهم خيار وإمكانات، لم يذهبوا إلى فلسطين (إسرائيل) (عبد الظاهر، ص. 57).

ويحلل جيلبرت كاباسو أرقام الهجرة مثبتًا أن خيار يهود مصر لم يكن إلى (إسرائيل)، فقد هاجر منهم 15,000 إلى البرازيل، و10,000 إلى فرنسا، و9,000 إلى الولايات المتحدة، ومثلهم إلى الأرجنتين، و4,000 إلى بريطانية، وأعداد أقل إلى كندا وإيطاليا وأستراليا، وهذا الرقم الذي يبلغ 47,000 يعادل ثلثي تعداد المجتمع اليهودي في مصر، ما يتعارض مع ادعاءات الوكالة اليهودية بخصوص الهجرة إلى فلسطين، ما لم نفترض وجود 85,000 يهودي قبل 1948، وهو رقم بعيد كل البعد عن كل التقديرات (عبد الظاهر، ص. 171)، وتدل على أنه فقط أقل من ثلث أعداد اليهود ذهبوا إلى فلسطين (إسرائيل)، ويعود ذلك، كما في كل مكان آخر، إلى أنها الجهة الوحيدة التي كانت متاحة لهم بعد اندلاع حرب 1948 أساسًا، ثم حرب 1956، وهذا يطابق ما حصل في العراق واليمن والمغرب، وما سنلحظ حدوثه في مجمل شمال إفريقيا.

6. شمال إفريقيا: ليبيا – الجزائر- تونس

تعود بدايات الحركة الصهيونية في شمال إفريقيا إلى سنوات 1897-1900، عندما قررت اللجنة الصهيونية العامة تعيين الدكتور «فالنسين» الجزائري ممثلًا للحركة في دول المغرب العربي، كما ذكرنا سابقًا، رغم مشاركة ممثل عنها في المؤتمر الصهيوني الأول عام 1897 في بازل ضمن الوفد الفرنسي المشارك. وفي حقيقة الأمر، لم تبد المؤسسات الصهيونية اهتمامًا مهمًا بيهود شمال إفريقيا، إلا أن مراسلات هذه المؤسسات تضمنت اهتمامًا بترويج (الشيكل) وأسهم الاستيطان (أتينجر، 1995، ص. 416).

في كتابه «الوطن المسيطر» الصادر في باريس عام 1968، قدم الأديب والمفكر اليهودي التونسي ألبير ميمي وصفًا بالغًا لمشاعر اليهود واغترابهم عن واقعهم المحلي في تلك الأوقات المتقلبة، ولعل شهادته المقتضبة تعكس ليس فقط حال ومشاعر يهود تونس، بقدر ما تعكس –كما يثبت التحليل والمراجعة- مشاعر مجمل المجتمعات اليهودية المحلية في المغرب العربي بأسره مع بعض الفوارق البسيطة. يقول ميمي «كان التونسيون ينظرون إلي بوصفي مواطنًا من الفئة الثانية، ومن هنا، لم تكن لي أية حقوق سياسية، كما لم يكن لي حق التقدم إلى الوظائف، وكانت اللغة الفرنسية هي اللغة الأم لليهود، وكان مظهرهم أوروبيًا بالكامل، ومن ثم فإنهم كانوا متفوقين على المسلمين، وبالرغم من أن هذه الفروق جعلتهم يتعرضون لمضايقات السكان، إلا أنها جعلت الفرنسيين يعاملونهم بشكل مختلف عن معاملتهم للمسلمين، الذين كانوا يشكلون، بالنسبة للفرنسيين، أدنى طبقات السلم الاجتماعي. وبينما احتقر المسلمون جهود اليهود الرامية إلى التقرب من الأقلية الأوروبية الحاكمة، فلم يكن الأوروبيين مستعدين لتقبل اليهود الذين حاكوا تقاليدهم، وكان إحساس اليهود بالاغتراب عن الأقلية المسلمة وعدم القبول من قبل الأوروبيين، يعد ملمحًا أساسيًا من ملامح حياتهم في شمال إفريقيا في الفترة الاستعمارية» (أتينجر، 1995، ص. 407). يقود هذا الوصف إلى تحديد ما يمكن أن نسميه «حالة الحافة» في الوضعية التي يجد فيها اليهودي نفسه مقحمًا على

معادلة المستَعمر –المستَعمَر، فيجد نفسه في الوسط، ويشترط فيه حمل خصائص محددة تبرر الانضمام إلى أي من الطرفين، و(وضعية الحافة) وضعية مأزق أساسًا، حيث إنها تجعل صاحبها في وضعية صراع دائم، وهو صراع يأخذ أشكالًا متباينة نتيجة للمغريات الموجودة على الجانبين، وأيضًا السلبيات التي يمكن حصدها من الانضمام لأي من الجانبين، ولكن هذا لا يعني أنه يكون حرًا في خياره، فثمة عوامل موضوعية وذاتية، قسرية وإرادية، تفعل فعلها في التوجه المحتمل (جابر، 2004، ص. 32).

ولعل من المناسب الإشارة هنا إلى أن قسما كبيرًا من يهود شمال أفريقيا كانوا مستفيدين من مرسوم (كريميه) عام 1870، الذي منح اليهود حق حمل الجنسية الفرنسية، ولكن السياسات الفرنسية المتعاقبة كانت انتقائية في تفسير وتطبيق القانون، على جميع اليهود في المستعمرات، مستغلين احتواء المرسوم على مفردة (الجزائر) تحديدًا، ما سيحدث مفارقات هامة متصلة من جهة بمأزق وحيرة وجودية، وسنلاحظها في رد فعل هؤلاء على مختلف التحولات التي ستطرأ على وجودهم، وما يهمنا هنا هي مواقفهم وردود أفعالهم تجاه الفكرة والأنشطة الصهيونية.

7. ليبيا

من المفيد، بداية، إلقاء الضوء على بعض الأرقام التي تعكس الوجود والحراك الديمغرافي لليهود في ليبيا في مرحل مختلفة، حيث يبين الجدول التالي (4) أعدادهم ما بين أعوام 1911 و1945.

جدول 4: اعداد السكان اليهود في ليبيا بين أعوام 1911 و 1945 (بالآلاف)

1945	1939	1936	1931	1911	1907*
81,800	30,400	27,600	24,100	142	13,468

المصدر: أتينجر (1995). ص. 401. مع ملاحظة أن الرقم الخاص بالعام 1911 شمل يهود طرابلس فقط، ومن الممكن إضافة يهود قورينا (الشحات حاليًا) الذين تراوح عددهم بين 2000 إلى 3000 نفس. والعمود الأول (*) استنادًا إلى النفوس الليبية عام 1907.

وثمة إحصاءات أخرى تتعلق باليهود في ليبيا تعود إلى العام 1905، حيث بلغ عددهم، حسب إدارة النفوس، 13,486 (ناجي، 1995، صفحات: 15-16)، وحسب مصدر آخر (كورو، 1971) بلغ عددهم، عام 1911، حوالي 6,910، بينما يشير هنريكو أغستيني في كتابه سكان ليبيا (أوغستيني، 1990)، الذي أصدره استنادا إلى الإحصاء الذي أجراه بأوامر السلطات الإيطالية، إلى أن عدد اليهود عام 1917 بلغ 6,910 نفسًا، ولعل من أبرز الإحصائيات أهمية إحصاء 1939 الذي نشر عام 1940، وتعود أهميته إلى أنه سبق مرحلة هجرة اليهود، إذ يقدر عددهم حينها بـ 30,578 نفسًا.[10]

10. التقويم السنوي لعموم قطر ليبيا (1940-1941). ص.17.

على العكس من موقف اليهود الإيطاليين والأوروبيين عمومًا، والذين كانوا يعيشون في ليبيا، فإنه كان واضحًا أن اليهود الليبيين لم يشتركوا في عمليات التمهيد للغزو الإيطالي لليبيا، ولم يساهموا في عمليات الغزو العسكري، وإن كانت بعض التقارير تشير إلى أن التجار منهم اقتصر دورهم على بيع المواد الغذائية والاستهلاكية للجنود الإيطاليين كنوع من الاستفادة المادية (بركات، 2000، ص. 66)، وإن كان هذا لا يعني أن التجار الليبيين أنفسهم لم يتورطوا في هذا الأمر الذي تتجنبه المصادر ذات الطابع الوطني على الأغلب.

ولكن بما يخص اليهود، فإنهم، على الأرجح، لم يتأثروا بالدعاية الإيطالية لأسباب عديدة أبرزها ارتباطهم القوي بالمجتمع المحلي اجتماعيًا واقتصاديًا، وابتعادهم عن مجريات الأمور السياسية كما هو حال المجتمعات المنغلقة عموما، واليهودية على وجه الخصوص، وولاء بعضهم للحكم التركي، إضافة إلى خوفهم من انقلاب الأتراك والعرب عليهم، وهذا لا يلغي التاريخ الطويل من المشاحنات بين المسلمين واليهود، نتيجة امتناع الأخيرين عن المشاركة في المقاومة ومساندة جزء كبير منهم لاحقًا للإيطاليين، وتقربهم منهم (بركات، 2000، ص. 67). ولعل هذا يمكن فهمه استنادا إلى (وضعية الحافة)، وبتحليل السياسة الاستعمارية القائمة على التفريق بين السكان المحليين، ومنح الامتيازات لفئة دون أخرى لاعتبارات خاصة بها.

تشير التقارير التاريخية إلى أنه، وبعد الاحتلال الإيطالي، تشكلت، في ليبيا، أول رابطة صهيونية (رابطة صهيون) على يد (إلياهو نحيمس)، وهو مصور صحفي عمل لصالح صحيفة (يسرائيل) الصادرة في برنتسا الإيطالية (أتينجر، 1995، ص. 412)، وإن كان الاهتمام الصهيوني بليبيا يعود إلى وقت مبكر أثناء التفكير والسعي لـ(مشروع برقة) لإقامة دولة يهودية هناك.

عمليًا، بداية دخول الصهيونية إلى ليبيا كانت مع القوات اليهودية المدمجة في الجيش البريطاني، خلال عامي 1941-1942، إلى إقليم برقة حيث اختلطوا باليهود المحليين، وتزوج بعض أفرادهم من يهوديات ليبيات، وقامت هذه القوات بدور تعليمي وثقافي وديني في درنة وبنغازي (أتينجر، 1995، ص. 191).

تعود بداية الاضطرابات إلى 1945 ارتباطًا بالتظاهرات ضد وعد بلفور، ويشير التقرير السنوي للإدارة العسكرية البريطانية[11] إلى أن النشاط الصهيوني في ليبيا كان السبب الرئيسي في نشوب اضطرابات وأحداث تشرين الثاني/نوفمبر بين العرب واليهود، واستهدف حمل يهود ليبيا على الاستعداد للهجرة إلى فلسطين. وقد أكد تقرير بريطاني على أن الأفكار الصهيونية أدت إلى تقويض دعائم الصداقة بين المسلمين واليهود، وكان وراءها يهود صهاينة أوروبيون بالأساس.[12] وقد أكد تقرير بلدية طرابلس «إن عدم معرفة مصير البلاد، وإشاعة قدر كبير من الغموض حول مستقبلها، أوجدا ظروفًا سياسية سيئة ضاعفت من إثارة

11. بلدية طرابلس في مائة عام (1870-1970)، جزءان (1973). ص. 377. طرابلس: شركة دار الطباعة الحديثة، طرابلس.
12. المصدر السابق. ص387.

مشاعر وإشاعة جو من القلق والاضطراب داخل أوساط العرب واليهود على حد سواء».[13]

وتمثل أحداث 1945 مؤشرا مهما على هذا الواقع. رغم وجود الكثير من الروايات عن أحداث تشرين الثاني إلا أننا نورد هنا الرواية العربية الليبية، ومفادها أن الأسباب الحقيقية للثورة التي قام بها العرب الليبيون في طرابلس في تشرين الثاني 1945 ضد اليهود، ترجع، في أسبابها المباشرة، إلى مهاجمة اليهود للعمال العرب أمام الحارة اليهودية، وقيام أحد الصهيونيين بقتل أحد العرب في السوق، إضافة إلى الإشاعات التي روجتها شبكة تخريب إيطالية بأن اليهود هاجموا قاضي طرابلس في مكتبه الذي كان متاخما لحيهم، وقتلوه، وأحرقوا المحكمة الشرعية، ما أدى إلى هياج المسلمين في طرابلس، وانتشار الخبر بسرعة في المدن والأقاليم، وحدثت مواجهات دامية بين العرب واليهود.[14]

وتعكس أحداث 1945 طبيعة البنى المتخلفة لمجتمعات ما قبل حداثية، بوجود زعامات تقليدية عاجزة عن السيطرة على الجماهير، وغير قادرة على تقديم برنامج بعيد عن الشعبوية في مناهضة اليهودية الصهيونية، حيث إن الإدارة البريطانية اعترفت أنه على الرغم من أن الهدف النخبوي كان استهداف التجمعات والنوادي الصهيونية، إلا أن الدمار الذي ألحق بالمدينة كان على جانبي الصراع، وتسببت به العامة وغوغاء الناس من عرب ويهود على حد سواء، وتلك الأحداث امتدت إلى طرابلس وتاجوراء وزليطن والقصبات، وأودت بحياة 130 يهوديا ومسلما.

وقد أشار تقرير بريطاني إلى أن اليهود الليبيين لم يكن لديهم الحماس للانضمام إلى الحركة الصهيونية أو المشاركة في نشاطاتها، وانحصر الاهتمام الوحيد بالعلاقات الثقافية مع الوفود الصهيونية القادمة من أوروبا أو من مكتب فلسطين (بركات، 2000، ص. 292)، واتسمت العلاقة مع فلسطين بالحنين الديني والتوق إلى أرض الميعاد المقدسة.

وبقدر ما تغيب المصادر عن مقاومة يهود ليبيا للصهيونية، لا يمكن العثور أيضًا على وثائق تبرهن العكس، ويعود ذلك إلى طبيعة ظروف الاحتلال الإيطالي، والتركيز على اليهود الأوروبيين أكثر من اليهود المحليين، وإن أشارت بعض التقارير بوضوح إلى أنهم لم يكونوا صهاينة، ولم يؤدوا أي دور في الحركة الصهيونية، وكان موقفهم، ما بين 1911-1921، متسمًا بعدم المبالاة والشك، بل العداء أحيانًا، ولعل هذا كان متبادلًا، حيث يوضح جدول توزيع المقاعد في مجلس الوكالة اليهودية أن يهود ليبيا لم يحظوا بأي تمثيل، في حين حظيت مصر بمقعد خاص، ومراكش وتونس والجزائر بمقعد آخر (عبد الرحمن، 1967، ص. 236).

وكما في كل البلدان المستعمرة، كان لسياسات سلطات الاستعمار دور بارز في تغيير الاتجاهات وإتاحة الفرصة لتكوين الأفكار الجديدة. وهكذا، كان عام 1938 عامًا فاصلًا بالنسبة لليهود الليبيين، عندما

13. المصدر السابق. ص378.
14. الأهرام القاهرية. 8 تشرين الثاني 1945. العدد 21795. ص. 1.

فرضت القوانين العنصرية ضد اليهود في إيطاليا، فاستغل المندوبون الصهاينة هذا لترويج إشاعات القلق والتخويف وضرورة البحث عن مهرب، وهكذا بالترافق مع سقوط النموذج الفرنسي، وفشل أفكار (كل شعب إسرائيل أصدقاء) والأليانس، انتقل يهود ليبيا إلى التقرب من الحركة الصهيونية كونها الوحيدة التي قدمت لهم حلا لمعضلة وجودهم القلق.

8. الجزائر

رغم النقص الحاد في المصادر المكتوبة حول يهود الجزائر، إلا إنه من الممكن تتبع التطور العام لأوضاعهم ومواقفهم مما بين أيدينا.

ويعكس الجدول التالي أحوالهم الديمغرافية ما بين 1830- 1940:

جدول 5: عدد السكان اليهود في الجزائر 1830-1940 (بالآلاف)

1830	1871	1891	1911	1921	1931	1941	1946
17,000	24,600	47,500	57,100	74,000	114,000	123,000	130,000

المصدر: أتينجر، 1995، ص. 401.

ويرجع أول نشاط صهيوني في الجزائر إلى العام 1920، عندما تشكلت رابطة (العودة إلى صهيون)، إلا أنها عانت من ضعف التأثير ولامبالاة المجتمع اليهودي المحلي، سواء هي أو غيرها من الروابط الأقل أهمية، حيث كانت تلقى مقاطعة من أثرياء اليهود والشخصيات النافذة الذين ادعوا دائمًا أنهم فرنسيون، وأنهم يشعرون بالراحة في الجزائر، وحسب شهادة زعيم الرابطة «إن أثرياء اليهود والشخصيات ذات النفوذ تقاطع الحركة الصهيونية، ولا يمكننا، حتى الآن الاعتماد على تأييدهم. وتضم رابطتنا في صفوفها فقراء اليهود والعمال والمستضعفين، ونأمل في أن تنجح في جذب أثرياء اليهود، ولكنهم يدعون دائمًا أنهم فرنسيون، وأنهم غير ملزمين بالمسألة الصهيونية» (أتينجر، 1995، ص. 419). ورغم مشاركة مندوب عن دول شمال إفريقيا في مؤتمر بازل الصهيوني، ورغم إيلاء المشاركين اهتمامًا بأوضاع الجزائر، إلا أن المؤتمر لم يلق صدى واسع النطاق في أوساط يهود هذا البلد، باستثناء مدينة قسنطينة، ولا يمكننا التوثق من أن الرسالة الوحيدة التي أرسلها أحد سكانها إلى هرتسل في أيلول 1897 يمكن أن تعكس رأي مجموع سكان المدينة اليهود؛ وقد جاء في الرسالة، التي غلب عليها التملق وتزييف الحقائق «حظيت مبادرتك الهادفة إلى تطبيق الفكرة الصهيونية باهتمام واسع النطاق في قسنطينة، وتحظى الفكرة الصهيونية التي حققت قدرًا كبيرًا من الانتشار في أوساط أبناء طائفتنا الذين يعانون من الاضطهاد، شأنهم في هذا شأن

اخوانهم اليهود في روسيا ورومانيا، بتأييد كل يهود قسنطينة الذين يرون أن هذه الفكرة هي الحل الوحيد للقضية اليهودية» (أتينجر، 1995، ص. 409).

ولوحظ أنه لم يطرأ أي تغير على موقف السكان اليهود اللامبالي من الصهيونية عشية الحرب الثانية إلى أن جاءت الحرب، وتدخلت عوامل خارجية جوهرها تغير موقف الحكومة الفرنسية. ففي السابق، حرص الفرنسيون على تفضيل اليهود على المسلمين. انطبق هذا على الجزائر كما تونس، وكانت السلطة الفرنسية تنظر إليهم بوصفهم طرفًا وسيطًا بين الاحتلال والسكان المحليين. ومن جهة أخرى، حرص يهود فرنسا على العمل لصالح يهود الجزائر، ويعود هذا الاهتمام إلى عام 1870 عندما صدر مرسوم (كريمييه)، وزير العدل الفرنسي اليهودي، الذي منح حق حمل الجنسية الفرنسية لليهود، إلا أنه يلاحظ رفض يهود الجزائر للجنسية كون حق المواطنة كان يلزمهم بالتخلي عن التقاليد اليهودية (أتينجر، 1995، ص. 419).

التطور الدراماتيكي حدث يوم 27 تشرين الأول عام 1940، عندما ألغت حكومة فيشي مرسوم كريمييه، وتم إلغاء الجنسية الفرنسية ليهود الجزائر، وقطع أي طريق لاستعادتها (لاحقا أعيد العمل بالمرسوم عام 1943، بعد تدخل الرئيس الأمريكي روزفلت)، ثم صدر القانون اليهودي التالي، في 2 حزيران 1941، ليمنع اليهود من تولي الوظائف الحكومية في عموم مناطق السيطرة الفرنسية، تبعه، في تموز 1941، قانون مصادرة جميع الممتلكات اليهودية باستثناء المساكن الشخصية، هذا الأمر دفع القليل من اليهود للجوء إلى الصهيونية. ولكن إلغاء هذه القوانين، بعد سقوط حكومة فيشي، عرقل هذه التحولات، ودفع اليهود الجزائريين، مرة أخرى، إلى أحضان الفرنسة، حيث لم يتعد عدد من هاجر منهم إلى فلسطين ما بين 1948 و1950 أكثر من 23,887 شخصًا، وهاجر أغلبهم إلى فرنسا مع رحيل الاستعمار.

9. تونس

ينحدر يهود تونس من مجموعتين، الأولى التونسية القديمة، والثانية يهود الغرانة ذوي الأصول اللاتينية البرتغالية والإيطالية، الذين هاجروا إلى تونس منذ القرن السادس عشر بعد طردهم من أوروبا. ويمكن رصد تطور أعدادهم ما بين 1881 و1946 بالجدول التالي.

جدول 6: عدد السكان اليهود في تونس 1881-1946 (بالآلاف)

1881	1911	1921	1926	1931	1936	1941	1946
25,000	50,500	54,000	60,000	70,000	80,000	89,700	100,000

المصدر: أتينجر، 1995، ص. 401.

وقد كانت المجموعتان اليهوديتان في تونس في حالة قطيعة تامة حتى العام 1944 لأسباب متعلقة بالتقاليد، وأسلوب التدين، واختيار يهود الغرانة العيش في غيتو خاص بهم. ولكن، في العام 1944، اتحدت الطائفتان بعد رفع رؤسائهما القوانين التي تحرم التزاوج بينهما.

بعد الحرب العالمية الأولى، تطورت أوضاع اليهود في تونس واختلفت اتجاهاتهم، فقد دافع جزء منهم عن وضعيتهم كتونسيين، ودعا جزء آخر إلى الاندماج في صلب الحضارة الفرنسية، وطالبوا بالجنسية الفرنسية، بل انضم بعضهم إلى أحزاب يسارية فرنسية، ولكن الصهيونية هي الأيدلوجية الأهم التي استقطبت يهود تونس. وزادت الحملات العدائية لليهود عبر الصحافة التي يصدرها الفرنسيون من انتشار الصهيونية، مثل صحف –المصباح La Lantere– اللاسامية، وقد أصدرت أربعة أعداد من أيلول إلى تشرين الأول 1920، ثم جريدة –الفانوس La Falot– من تشرين الأول 1920 وحتى شباط 1921. أمام هذه الحملة، تحالف الأهالي اليهود مع المسلمين، فأنشأوا رابطة يهودية مسلمة أصدرت جريدة للتعاون بين الفئتين من تشرين الأول 1920 وحتى آذار 1921 باسم –تونس الجديدة Tunisie Nouvelle– ضمت شخصيات نافذة تونسية يهودية ومسلمة. وعام 1934، صدرت جريدة يهودية باسم –السوط La cravache– نادت بإقامة جامعة يهودية عربية لتدعيم التعاضد بين اليهود والعرب، ولكن هذا المشروع لم ير النور.

وخلافًا لهذا الاتجاه، كان هناك شق آخر من اليهود نادى لتمكينهم من الجنسية الفرنسية، والانصهار في الحضارة الغربية، وأصدر صحفا في هذا الاتجاه، ساهمت في الدفاع عن مصالح كبار التجار اليهود وعن مطامحهم في الحصول على الجنسية الفرنسية لضمان مصالحهم الاقتصادية وتمتعهم بامتيازات الأوروبيين، مستندين، في مطالبهم، إلى أن اليهود يعتبرون ذميين في تونس، ومن حقهم، بالتالي، الاستفادة من القانون الفرنسي الذي يخول كل أجنبي يقيم في تونس أكثر من ثلاث سنوات بالحصول على الجنسية الفرنسية (بشير، 2004).

وبالعودة إلى تعدادهم، فقد بلغ عددهم عام 1951 حوالي 135 ألفًا، كان ثلثهم على الأقل يحملون الجنسية الفرنسية. وفي تشرين الأول عام 1942، بعد غزو الحلفاء للمغرب والجزائر، دخلت قوات ألمانية (الفيرماخت) إلى الأراضي التونسية، ترافقها وحدة عناصر النخبة المسلحة (الأس أس)، كانت مهمتها تطبيق السياسة المناهضة لليهود في تونس. وقد بلغ عدد المرحلين إلى معسكرات العمل 13,000 شخص، بينهم 5,000 إلى 6,000 من المحليين من غير حملة الجنسية الفرنسية. وبعد الحرب، عاد اليهود للتمتع بالحرية الكاملة. وبعد الاستقلال، ورغم أن بورقيبة لم يكن معاديا لليهود ولا للصهيونية واتسمت علاقته بهم بالإيجابية، منذ كان يدرس في فرنسا، وتمرنه عند محام يهودي، بل إنه وعند استقلال تونس عام 1956، اختار رجل الأعمال باروخ ضمن حكومته وكلفه بوزارة السياحة. إلا أن مشاكلهم بدأت هنا وليس لأسباب أخرى، إذ أمر الرئيس الحبيب بورقيبة بجمع كل المنظمات اليهودية المحلية في هيئة واحدة أطلق عليها اسم (المجلس الديني اليهودي)، وعين أعضاءه بنفسه. ولأسباب اقتصادية استثمارية رعاها الرئيس،

دُمرَ الحي اليهودي القديم في تونس العاصمة إلى جانب أحياء فقيرة أخرى، وهدم أقدم كنيس يهودي، وتم الاستيلاء على الأرض، وأصبح الاضطراب سمة حياة اليهود ما بين 1956-1961.

وقد حدثت هجرة القليل منهم عند قيام إسرائيل، ثم زادت في الأعوام 1950-1952 بتأثير الحملة النفسية والاجتماعية الصهيونية، وانتقل 10 آلاف يهودي، أغلبهم من حاملي الجنسية الفرنسية، مع تطور حركة الاستقلال والثورة التونسية 18 كانون الثاني 1952، ووقوع حوادث عنف ضد اليهود الفرنسيين ارتباطًا بالحالة المناهضة للاستعمار. وقد غادر 40% البلاد ما بين 1948-1957، اتجه أغلبهم إلى فلسطين (إسرائيل) والباقي إلى فرنسا. وإثر معركة بنزرت، عام 1961 ضد آخر معاقل فرنسا في تونس، هاجر أكثر من عشرين ألفًا إلى إيطاليا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية.[15] وحدثت موجة أخرى عام 1962 إثر تأميم التجارة وصناعة النسيج التي كانت بأيدي اليهود. وفي حرب الأيام الستة، عام 1967، شهدت تونس موجة جديدة لهجرة يهودها إلى إسرائيل وفرنسا، لا سيما بعد أن قام غاضبون بحرق كنيسهم في ضاحية لافيات بتونس العاصمة.

وكانت أول رابطة من الشباب الصهيوني تشكلت في تونس بعد انتهاء مؤتمر بازل، ولا يعرف عنها إلا إرسال برقية تهنئة إلى المشاركين في المؤتمر الصهيوني الثالث، ومن غير المعروف عدد أعضائها، أو هويتهم الحقيقية، أو عدد مناصريهم. أما أول واجهة معروفة لتنظيم النشاط الصهيوني فهي رابطة صهيون عام 1921، وهي وغيرها من الروابط مارست أنشطتها بموافقة الفرنسيين (أتينجر، 1995، ص. 411).

ولم تلحظ الدراسات أية نشاطات مناهضة للصهيونية في تونس كليا، وإن سجل نشاط لمنظمة «هشومير هتسعير» عام 1930، والتي كانت تابعة لاتحاد المراقبين العبريين المحلي، وكان الغرض من تأسيسها التقليل من نفوذ الحركة الصهيونية التصحيحية ومنظمة بيتار، ومع هذا، فقد أثارت آراؤها المتطرفة معارضة شديدة في أوساط اليهود، وانضمت لاحقًا إلى الحزب الشيوعي الفرنسي.

15. الراية القطرية. 21 أيار 2008.

خاتمة

في 21 شباط 1979، عقدت الكنيست الإسرائيلية جلسة خاصة لمناقشة موضوع (أزمة الشرقيين) بعد إذاعة حلقة من مسلسل تلفزيوني بعنوان «كيف يا شعب إسرائيل» ركزت على إبراز اللامبالاة التي تناول بها الشرقيون «الحلم الصهيوني وتحقيقه».[16] ولعل ذلك يؤشر، في جانب من الجوانب، إلى حقيقة العلاقة بين الصهيونية والشرقيين، وكيف تعاملوا معها، وكيف تعاملت معهم، وردود أفعالهم عليها.

هناك أدلة، في الواقع، تؤكد أن ليس فقط الحركة الصهيونية لم تلمح اليهود الشرقيين في خطابها، بل إن يهود أوروبا أنفسهم لم يكونوا منتبهين (إن لم نقل يجهلون) لوجود اليهود الشرقيين. فعشية الحرب العالمية الثانية، كان 92% من يهود العالم من الأشكنازيم، وهؤلاء لم يكونوا على اتصال مع اليهود الشرقيين، وموقفهم منهم كان قائما على الإهمال المتسم بالجهل (فليس معقولا وجود يهود سمر)، وأول اتصال هو من يهود فرنسا عام 1860، عندما شكلوا الاتحاد اليهودي «الأليانس:Aliance» تحت شعار (كل إسرائيل رفاق)، وجاء ذلك إثر حادثة دمشق الشهيرة عام 1940. سقنا هذا الكلام لنوضح طبيعة النشأة الصهيونية الأوروبية التي لم تكن معزولة، بحال من الأحوال، عن الواقع الأوروبي القائم. وما كانت تهدف إليه أصلًا، والذي عبر عنه (هرتسل) في كتابه دولة اليهود «من أجل أوروبا سنخدم هناك (في فلسطين) كقلعة ضد آسيا، وسنكون حراس الحضارة الأماميين ضد البرابرة» (شابيرو، 1991، ص. 41). ويذكر توم سيغف أن يتسحاق رفائيل (1914-1999، عضو المجلس التنفيذي للوكالة اليهودية، وعضو لجنة الأمن والداخلية في الكنيست الثانية وحتى الثامنة، وزير الأديان في الحكومة السادسة عشر برئاسة غولدا مائير) كان قد حذر، في إحدى جلسات المجلس التنفيذي للوكالة، زملاءه من عواقب تقليص الهجرة الأوروبية وما نتج عنها من رفع عدد الأفارقة «إن كل واحد منا متفق في الرأي مع الآخر على أننا غير مستعدين للاكتفاء بأن تكون تلك هي الهجرة الوحيدة» (سيغف، 1986، ص. 166). وكانت وزارة الخارجية الإسرائيلية قد قدمت ملاحظات تحذيرية «إن المحافظة على مستوى اليشوف الثقافي (تتطلب) جلب المهاجرين بأعداد غفيرة من الدول الغربية لا من بلاد الشرق المتخلفة فقط، كما عبر أحد قادة الهجرة عن رفض الشرقيين «إن هؤلاء ليسوا هم اليهود أنفسهم الذين لنا شأن في قدومهم» (سيغف، 1986، ص. 167).

هل يمكن القول إذن أن الصهيونية عندما اكتشفت الشرقيين كانت قد تورطت في شعارها (باعتبارها «حركة تحرر» لليهود جميعا)، ولم يعد هناك إمكانية للتراجع؟ ربما.. لكن هناك ظروفًا موضوعية دفعتها للتمسك بهذا الشعار، حيث يشير توم سيغف أن التفكير في جلب يهود الدول العربية بشكل كبير إلى إسرائيل كان نتيجة للفراغ البشري بعد مقتل عدد كبير من اليهود على أيدي النازيين، كما أن نسبة اليهود الأوروبيين الذين اختاروا الهجرة إلى فلسطين لم تتعد 1%، وثمة عامل ثالث هو، كما قلنا، الحاجة لقوة

16. محاضر الكنيست التاسع. الدورة الثالثة جلسة 33، 21 تموز 1971. في: عبد الظاهر. سبق ذكره، ص. 11.

عمل رخيصة مكان العرب، والعامل الرابع هو استغلال طابعهم الشرقي في دوائر التجسس، إضافة أخيرًا إلى العامل الأهم وهو الحاجة الماسة إلى المزيد من الجنود (بشير، 1998، ص. 11).

أخيرًا

حاولت، في هذه الورقة، الإضاءة على جوانب مهمشة من تاريخ اليهود العرب، وعلاقتهم بالصهيونية. ومن الواضح أن تمثيلًا بيانيًا لهذه العلاقة سيعكس قوسًا واسعا يتدرج ما بين عداء مطلق وتأييد مطلق، نجد في الوسط أشكالًا من اللامبالاة والحياد والرفض والقبول المتحفظ، السلبي أو الإيجابي.

ولعل الاستخلاصات الأساسية التي من الممكن استقاؤها تندرج في عدد من النقاط:

1. في الوقت الذي لا يمكن النظر إلى اليهود العرب ككتلة واحدة متجانسة، بل مجتمعات مندرجة في مجتمعات أكبر لها خصوصياتها، فإنه لا يمكن إغفال وجود العديد من عناصر التحليل المشتركة والمتشابهة بين مختلف المجتمعات اليهودية.
2. ارتسم مصير اليهود العرب بتحولات أزمنة قلقة طالت المجتمعات العربية برمتها، من التوجه إلى الاستقلال وصراع الحداثة والماضي، والانفتاح والانغلاق.
3. كان اليهود العرب، في معظمهم، متأثرين بصراع دار في أوساطهم بالذات، بين أفكار المواطنة ورفض الاندماج، وكان مصيرهم معلقا على نجاح أحد الطرفين، وكانت هزيمة الاندماج والتنوير عاملا ساحقا في تقرير هذا المصير. ولكن هذا لا يعني أنهم لم يكن لديهم خيار، أو أنهم كانوا ضحية مطلقة للحركة الصهيونية. فقد كان بالإمكان دائما اللجوء إلى طريق آخر، وربط مصيرهم بمصير مواطنيهم العرب، وأيضا، ثمة ميل عند الصهاينة لرواية تاريخ حركتهم على أنها الخيار الوحيد الذي كان متاحا لمجابهة اضطهاد اليهود. وفي الحقيقة، لم يكن هذا هو الحال، فقد كانت، في تلك الآونة، حركات اشتراكية نابضة بالحيوية دافعت عن اليهود الذين واجهوا القمع، كما أن الاشتراكيين هم الذين أطاحوا بالعنصرية المعادية لليهود باعتبارها سموما في الحركة العمالية.[17] وأكثر من ذلك، يتضح أن عزل اليهود عن مجتمعاتهم كان مدركا سلفا، فقد شهد هرتسل محاكمة ألبرت دريفوس، التي شكلت يومها فرصة لتوحد اليهود وغيرهم في النضال ضد معاداة السامية، ولكن هرتسل لم يفعل ذلك لأسباب صارت معروفة.[18]
4. لعبت الهيكلية الدينية والمؤسسة الحاخامية في أكثر من مكان، دورًا أساسيًا في اتجاهات متناقضة مع الانغلاق وضد حداثة الصهيونية، ومع الصهيونية ضد الاندماج استنادا إلى شبكة النفوذ الحاخامي، وزادت في ضياع وتوتر وقلق المجموع اليهودي.

17. دي سيلفا، لانس، 2009. «الصهيونية والكفاح ضد معاداة السامية». جريدة: **حق العودة**. عدد 35، ص. 9.
18. المصدر السابق ص9.

5. لعبت التطلعات المسيحانية الغامضة والتوق إلى (أرض الأنبياء) دورًا أساسيا في أحيان كثيرة في تحديد خيار الهجرة والقبول به.
6. يشـــير التحليل الديمغرافي إلى أن الجهود الصهيونية في جعل فلسطين قبلة للهجرة اليهودية لم تكن موفقة كثيرا، في أغلب الأحيان؛ ونجاحها الكبير في بعض البلدان مرتبط بعوامل أخرى ليست صهيونية.
7. كانت الهجرة اليهودية تتســـم بالطبقية، والقدرة على إيجاد بدائل. ونجد أن معظم من لديهم جنسية أجنبية وكانوا يمتلكون القدرات المالية، لم يختاروا الذهاب إلى فلسطين.
8. في حالات عديدة، كانت الهجرة إلى فلســـطين عن طريق الحركة الصهيونية هي الخيار الوحيد، الذي وجد فيه اليهود حياتهم ومستقبلهم في خطر، كما في اليمن على وجه الخصوص، وليبيا بشكل أقل.
9. لعبت السياسات الاستعمارية دورًا رئيسيًا ســـواء في إسلام اليهود للصهيونية، أو في تحديد خيارات هجرتهم.

وبغض النظر عن المآلات التي انتهوا إليها بعد هجرتهم، ما يفضي إلى خارج حدود هذا البحث، إلا أن السؤال المطروح يبقى بحاجة للمزيد من البحث والتعمق الموضوعي: لماذا، وكيف، ومن المسؤول عن إحالة قطعة من المجتمع العربي إلى حضن العدو لتصبح جزءا منه؟

هل تصهين هؤلاء، أم جرى اختطافهم وزجهم فيما بعد في بوتقة صهر فشلت في مساواتهم بالغربيين، ونجحت في جعلهم جزءا من الصهيونية وقطعة منها لجهة معاداة الفلسطينيين وأهدافهم الوطنية في المشهد العام؟ وكيف، على الجانب الآخر، أثر انتقال كتلة بشرية كبيرة، قطعة من المجتمع العربي إلى خندق العدو على مسار ترميم ونهوض المجتمع العربي المعاصر، ما نوع الجراح التي تركها، أليس هذا جزءا من فشل المشروع النهضوي؟ مشروع النهضة وبناء الدولة الوطنية بالبعد القومي العلماني الديمقراطي. لعل هذا يحتاج بحثًا آخر واهتمامًا بحثيًا عربيًا وفلسطينيًا أكبر.

المراجع

أبو جبل، كاميليا (1999). **يهود اليمن: دراسة سياسية واقتصادية واجتماعية منذ نهاية القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين**. دمشق: دار النمير.

أتينجر، صموئيل (1995). **اليهود في البلدان الإسلامية 1850-1950**. الكويت: عالم المعرفة.

أحمد، وليد خالد (2013). «تهجير يهود العراق». كتابات: www.kitabat.com. تم ا ستقاء المعلومات من الموقع الإلكتروني في تاريخ 10 آب 2014.

أعيان، أحمد باش. «الصهيونية واليهود العراقيون 1860-1952»، بحث على الانترنت: http://www.al-mosul.com. تم استقاء المعلومات من الموقع الإلكتروني في تاريخ 6 كانون الثاني 2014.

أوغستيني، هنريكو (1990). **سكان ليبيا**-جزءان، ترجمة محمد التليسي. ط1. تونس: الدار العربية للكتاب.

البرق، جهاد علي (2014). يهود لبنان بين التعايش والصراع. **الحوار المتمدن**، عدد 4357 في: http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=399413. تم استقاء المعلومات في تاريخ 15 آذار 2014.

بركات، أسامة الدسوقي (2000). **اليهود في ليبيا ودورهم من 1911-1951**. مصر: جامعة طنطا. كلية الآداب.

بشير، الطيب (2004 آذار 10). «مراجعة كتاب مدخل إلى تاريخ الصحافة في تونس 1838 -1988 للدكتور محمد حمدان». **الاتحاد الإماراتية**.

بشير، نبيه (1998). **الشرقيون في مستنقع الصهيونية، اتجاهات التحرر وإشكاليات الواقع**، سلسلة قراءات نقدية (1). اليهود الشرقيون إلى أين. القدس-بيت لحم: مركز المعلومات البديلة.

بن منصور، عبد الوهاب (1985). **مشكلة الحماية القنصلية بالمغرب من نشأتها إلى مؤتمر مدريد 1880**. ط2. الرباط: المطبعة الملكية.

بينين، جوئل (2008). **شتات اليهود المصريين**. ط2. القاهرة: دار الشروق.

جابر، أحمد مصطفى (2004). اليهود الشرقيون في إسرائيل: جدل الضحية والجلاد، **دراسات استراتيجية**، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، (92). ط1.

ليف جرينبرغ، ليف (2004). اليسار الأشكنازي: فحص ما بعد الوفاة. في: **قضايا إسرائيلية** (مركز مدار)، السنة الرابعة، عدد 14.

سيغف، توم (1986). **1949-الإسرائيليون الأوائل**. ت: خالد عايد وآخرون. ط1. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

سيغف، توم (1999). **فلسطين تحت الانتداب البريطاني**.

شابيرو، رافائيل (1991). **الصهيونية ورعاياها من اليهود الشرقيين**. بيروت: دار الحمراء. ط1.

شاحاك، إسرائيل (1996). **التاريخ اليهودي المكشوف والمستور**. ترجمة عبد الكريم محفوض. ط1. دمشق: دار البعث للصحافة والنشر.

شبلاق، عباس (1990). حول شعور العداء لليهود في الدول العربية. **مجلة الدراسات الفلسطينية**، عدد 2. بيروت، لبنان.

شليبفر، آلين (2007). هويات اليهود العراقيين وفقا لمذكرات يهود بغداديين. دراسة قدمتها للمؤتمر العلمي الثاني (للرابطة الدولية للدراسات العراقية المعاصرة IACIS) الذي أقيم في عمان، 13/11 حزيران 2007، ونشرت بترجمة د. محمد محمود عبد الواحد محمود على: إيلاف 13 تشرين الأول 2008:

.http://www.elaph.com/Web/Culture/2008/10/373166.htm

تم استقاء المعلومات من الموقع الإلكتروني في تاريخ 16 حزيران 2014.

شمالي، نصر ودجاني، هشام (1990). **الظروف التاريخية للهجرة اليهودية**. دمشق: دار المستقبل.

شنهاف، يهودا (2007). اليهود العرب: حول سيرة الإنكار وإنكار السيرة وما بينهما. في: مجلة **قضايا إسرائيلية**، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية (مدار). العدد 27.

الطيار، خليل إبراهيم (1990). يهود المغرب في ندوة: يهود الأقطار العربية، بغداد 13-14/1987. **سلسلة دراسات فلسطينية** (23)، جامعة بغداد: مركز الدراسات الفلسطينية، كلية العلوم السياسية.

عبد الرحمن، أسعد (1967). **المنظمة الصهيونية العالمية (1897-1948)**. منظمة التحرير الفلسطينية. بيروت: مركز الأبحاث.

عبد الظاهر، محمود سعيد (بدون تاريخ). **يهود مصر: دراسة في الموقف السياسي 1897-1948**. جامعة

القاهرة: مركز الدراسات الشرقية.

عبد المحسن، جواد (بدون تاريخ). موقف اليهود الشرقيين من الصهيونية، على الانترنت: موقع نداءات من بيت المقدس. تم استقاء المعلومات من الموقع الإلكتروني في تاريخ 5 كانون الثاني 2014.

العيسة، أسامة (2008 أيار 19). المجهول في هجرة يهود اليمن إلى فلسطين. إيلاف. في: http://www.elaph.com/ElaphWeb/Politics/2008/5/332027.htm. تم استقاء المعلومات من الموقع الإلكتروني في تاريخ: 15 آذار 2014.

فرحات، أحمد (2014 كانون الثاني 21). يهود لبنان وما تبقى منهم. في: **العالم**. جريدة يومية عراقية.

قومش، شارون (2008). صدام العرب اليهود بالصهيونية. ترجمة سماح إدريس. **مجلة الآداب** 7-9. بيروت، لبنان. يمكن الاطلاع على المقال كاملا: http://adabmag.com/node/70. تم استقاء المعلومات من الموقع الإلكتروني في تاريخ 10 آب 2014.

كورو، فرانشيسكو (1971). **ليبيا أثناء العهد العثماني**. تعريب وتقديم خليفة محمد التليسي. طرابلس: دار الفرجاني.

كورية، يعقوب يوسف (1998). **يهود العراق: تاريخهم، أحوالهم، هجرتهم**. عمان: دار الأهلية.

كيوان، مأمون (1996). **اليهود في الشرق الأوسط: الخروج الأخير من الجيتو الجديد**. ط1. دمشق: الأهلية للنشر والتوزيع.

لطيف، مازن (2012). «يهود بغداد والصهيونية 1920-1948». موقع المدى للإعلام والثقافة والفنون، ملاحق المدى الأسبوعية، ملحق أوراق. تم استقاء المعلومات من الموقع الإلكتروني في تاريخ 5 كانون الثاني 2014.

المسيري، عبد الوهاب (بدون تاريخ). موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد السادس، الجزء الرابع، **الصهيونية والجماعات اليهودية**. القاهرة: دار الشروق.

معروف، خلدون ناجي (1974). مقدمة في دراسة الأقلية اليهودية في العراق 1921-1952، في: **يهود العالم والصهيونية واسرائيل، مجموعة مقالات**، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث.

ناجي، محمود (1995). **تاريخ طرابلس الغرب**. ترجمة عبد السلام أدهم ومحمد الأسطى. ص15-16. طرابلس: دار الفرجاني.

نصار، سهام (1980). **اليهود المصريون بين المصرية والصهيونية**. ط1. بيروت: دار الوحدة.

هيكل، أحمد الشحات (2007). **يهود المغرب: تاريخهم وعلاقتهم بالحركة الصهيونية**.جامعة القاهرة: مركز الدراسات الشرقية.

يئور، بات (بدون تاريخ). الصهيونية في البلدان الإسلامية، وضعها في مصر، في: **المشكلة السفاردية، إسرائيل الثانية**. عدد من المؤلفين. ترجمة فؤاد جديد. بيروت: منشورات (فلسطين المحتلة).